وزارة التعلـــــيم العالي والبـــحث العلمي
جـــامعة د.الطـــاهر مـــولاي سعيـــدة
كليـــة الأداب واللغـــات والفـــنون
معهـــد اللغـــة العـــربية وآدابهـــا
قسم: اللغة والآدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد عربي قديم

الموسومة بـــ:

دراسة نقدية تحليلية في كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين

إشراف:

♦ الدكتورة حميدات مسكجوب

إعداد الطالبتان:

♦ حميدات صابرين

♦ قـــدوس خـــيرة

أعضاء لجنة المناقشة:		
الأستاذ الدكتور	نصر الدين عبيد	رئـــــيـــساً
الدكـــتـــورة	حميدات مسكجوب	مشرفاً ومقرراً
الدكـــتـــورة	بن ضياف زهرة كريمة	ممتحناً ومقرراً

السنة الجامعية: 2020 – 2021

الشكر وعرفان

نحمد اللّه عزّ وجل حمدا كثيرا الذي أعننا

على إتمام هذا العمل المتواضع.

نتقدم ببادئ الشكر إلي أستاذتنا الفاضلة

الدكتورة"حميدات"على المجهودات التي بذلتها

في تأطير هذا البحث وعلى نصائحها

وإرشاداتها التي قدمتها لنا.

الإهداء

الحمد الله رب العالمين الذي أوصلني إلى هذا الرحب الطيب، الذي جمع الأصحاب والأحباب وجعل للنجاح ألف باب.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع:

إلى من شملاني بعطفهما وحبهما...وفاءاً لهما... و اعترافا بفضلهما

أمي الغالية التي حملتني وحمتني ومنحتني الحياة، وأحاطتني بحنانها وحرصت على تعليمي بصبرها وتضحيتها في سبيل نجاحي.

أبي العزيز الذي دعمني في مشواري الدراسي من خطواتي الأولى إلى المدرسة.

كما لا يفوتني أن أخص إهدائي بذكر الجدتين الحنونتين الذين أعانوني بالدعاء، أطال الله في أعمارهم، وإلى خالتي"فاطنة" التي آوتني في بيتها طيلة مدة دراستي الجامعية مع الجدة وإلى كل إخوتي، كما أهدي عملي المتواضع إلى كل من صديقاتي خاصة "زهرة، سارة، خيرة".

صابرين

إهداء

أولا وقبل كل شيء أحمد الله عز وجل الذي وفقني في إتمام هذا العمل حمدا كثيرا مباركا فيه.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة حبيبنا وشفيعنا

محمد صل الله عليه وسلم

وأهدي ثمرة جهدي

إلى من أحرقت شمعتها لتنير دربي.

والتي حملت الآهات لأحس بأمان أمي الغالية حفظها الله.

إلى الذي أفنى شبابه من أجلي.

والذي بث فينا كل معاني الحياة والعزيمة أبي أطال الله في عمره.

وإلى كل من شملوني بالعطف، وأمنوني بالعون، وحفزوني للتقدم

إخوتي.

وإلى كل من علمني حرفا، وأخذ في سبيل تحصيل العلم، والمعرفة.

إلى جميع أصدقائي وكل طلبة ماستر 2 نقد عربي قديم.

خيرة

مقدمة

الأدب هو أحد أشكال التعبير الإنساني والرحم الذي يحتضن النفس البشرية ويعبر عن مجمل عواطف الإنسان وخواطره بأرقى الأساليب الكتابية كالشعر الذي يحاكي الأحداث الاجتماعية التي تسود في كل عصر وخلاصة التجارب الإنسانية، كما يلعب الشعر دورا بارزا في عملية حفظ اللغة وهو الوسيلة التي يتم من خلالها تنمية الملكة البلاغية كونه يحتوي على اللفظ والجزل والقول والكلام البين والاستعارات والإشارات ذات الدلالة، كما يحث عل إظهار كلمة الحق وفضح الظلم والاستبداد، أما النقد فيأتي بعد العملية الإبداعية، إذ أنه لا يمكن الحديث عن النقد دون وجود مادة تمارس عليها العملية النقدية مباشرة وتستهدف قراءة الأثر الأدبي وتوضح مواطن الجودة والرداءة.

وقد ظهرت عدة نظريات غربية كانت المنطلق الأساسي لكثير من العلوم في مختلف المجالات والتي كان لها الحظ الأوفر في الدراسة ووصل صداها حتى إلى الوطن العربي بفضل الاحتكاك بالغرب ومن بينها نظرية الشك المنهجي الديكارتي التي أسسها ديكارت وهي منهج يبحث في أصل الأشياء وقيمة مبادئ العقل وبالرغم من أنها منهج فلسفي غير أنه حاول بعض الأدباء والنقاد العرب دراسة مواضيع وفق هذا المنهج من بينهم الدكتور طه حسين والذي قام بدراسة الشعر الجاهلي وفق هذا المنهج، أي أنه حاول أن يصل إلى حقيقة الشعر الجاهلي ومصداقيته وذلك من خلال الشك وهو يقوم بذلك شكك في حقائق تاريخية من شعر وشعراء وأخبار مما أدى إلى ردود ساخطة من طرف النقاد العرب لكتابه في الشعر الجاهلي، فقد دار حول هذا الكتاب جدل كبير وتصورات عديدة مع أنه لم يكن الأول من حاول البحث في صحة الشعر الجاهلي وأسباب الانتحال فيه كما زعم وهذا دليل على أنه كان متأثرا بأحدهم وخاصة مرجليوث وعليه فقد جاءت دراستنا موسومة بدراسة نقدية تحليلية لكتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين وكان الدافع لهذه الدراسة عدة أسباب:

- رغبتنا في التعرف على مدى تأثر طه حسين بمنهج ديكارت.

- التعرف على مدى حقيقة النحل والانتحال.
- التعرف على المفاهيم التي تطرق إليها في كتابه.

وفي بحثنا هذا ارتكزنا على المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي وذلك لاستقرائنا لتطور الشعر عبر مراحله وتحليلنا لما جاء فيه كتاب طه حسين من أفكار ومما تقدم يمكننا طرح الإشكالية التالية:

♦ **ما مدى تطبيق طه حسين للمنهج الديكارتي في دراسته للشعر الجاهلي؟**

و ماهي أهم الدوافع التي جعلت طه حسين يشكك في الشعر الجاهلي؟ وما موقف النقاد من المنهج التي اتبعه طه حسين في دراسته للشعر الجاهلي؟

وللإجابة على التساؤلين اعتمدنا على خطة بحث تتكون من مقدمة تم الغوص فيها للتعرف على مضمون بحثنا، وتلاها تمهيد تناولنا فيه لمحة عن نظرية الشك في الشعر الجاهلي.

كما تناول هذا البحث فصلين: حيث كان الفصل الأول بعنوان نشأة الشعر الجاهلي وقضية الانتحال فتناولنا فيه أربعة مباحث تمثلت في:

-المبحث الأول: نشأة الشعر الجاهلي وتطوره.

-المبحث الثاني: الرواية والتدوين.

-المبحث الثالث: قضية النحل والانتحال.

-المبحث الرابع: منهج الشك الديكارتي وأسسه.

أما الفصل الثاني المعنون بالبعد الرؤيوي في كتاب الشعر الجاهلي عند طه حسين وهو بدوره مقسم إلى مبحثين:

-المبحث الأول: أهم المفاهيم التي وقف عندها طه حسين في كتابه.

-المبحث الثاني: آراء نقدية.

- ملحق

لنختتم هذا البحث بخاتمة كانت محصلة لما تم استخلاصه من النتائج.

قائمة المصادر والمراجع.

وكل بحث لا بد أن تعترضه بعض الصعوبات منها:

نقص الخبرة لإنجاز مثل هذه البحوث الأكاديمية.

كثرة المصادر والمراجع وصعوبة انتقاء الأهم من المهم من المعلومات، ومع ذلك فإننا في بعض الأحيان لم نتمكن من إيجاد بعض الكتب التي يجب الإطلاع عليها لإثبات صحة بعض الأقوال.

وفي النهاية لست أدعي فيها العصمة من الزلل، أو التتره من الخطأ أو الخلل فهو لا يزال ناقصا ومفتقرا للمعلومات اللازمة، التي تخدم الموضوع، فهذا شأن كلّ باحث مبتدئ يقتفي الآثار، فإن أصبت فما توفيقي إلا بالله عزّ وجل، وإن أخطأت فكل ابن أدام خطاء.

تمهيد

لمحة عن الشك في الشعر الجاهلي

تمهيد:

الشك في الشعر الجاهلي من المهمات في النقد الأدبي قديما وحديثا حيث اهتم بها القدماء والمحدثين والمستشرقين على حد سواء، فالشعر الجاهلي قد أثار عدة قضايا مترابطة ومتماسكة وهي ثلاثة قضايا بحيث يقول محمود شاكر": وعندي أكبر القضايا التي يثيرها أمر الشعر الجاهلي ثلاثة: القضية الأولى: قضية عمر الشعر الجاهلي الذي وقع إلينا، وهي قضية متفرعة عن أولية الشعر نفسه في لسان العرب، والقضية الثانية: قضية شعراء الجاهلية المعروفين وما انتهى إلينا من أشعارهم ومقدار هذا الشعر، والقضية الثالثة: قضية وضع الشعر ونحله شعراء الجاهلية، أهي صحيحة أم باطلة؟ وفإن صحت، فأين هذا المنحول فيما وصلنا عن العلماء عن الرواة من أشعارهم؟"[1]

إذن هذه القضايا تعود إلى المقدمة التي كتبها محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء، والتي ذكر فيها العرب وأشعارهم وقبائل العرب وساداتها وأيامها وتتبع الشعر ومراحل تطوره حتى اكتمل ودُرس؛ ويعتبر هذا الكتاب أول من جاء بفكرة انتحال الشعر الجاهلي في الفكر العربي، ودليل ذلك قوله في كتابه: "وفي الشعر مصنوع مفتعل وموضوع كثير لا خير فيه."[2]

وبعده في العصر الحديث ظهرت هذه القضية بشكل جديد عند نقاد جدد منهم طه حسين: "فالقضية لم تكن حول الشعر الجاهلي فقط، بل كان وراءها ما وراءها، فقد كان وراء هذا التشكيك الذي اتخذه طه حسين مذهبا، مرمى آخر وهو نقض اجماعات أخرى لبقية العلوم وكان

[1]- أبو فهر محمود محمد شاكر: **قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام**، مطبعة المدني المؤسسة السعودية، ط1، مصر-القاهرة، 1417-1998، ص10

[2]- محمد بن سلام الجمحي: **طبقات فحول الشعراء**، ج1، شرح محمد شاكر، دار المدني، بدون طبعة، بجدة، ص04.

يحرك هذه الحملة من التشكيك المستشرق مرجليوث الذي كتب حول هذا الموضوع الشعر الجاهلي."[1]

فقد ذهب مرغليوث أيضا إلى الشك في صحة الشعر الجاهلي وأنه منتحل، "وكان من أكبر من أثار هذه القضية في كتاباته إذ كتب فيها مقالا مفصلا نشره في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية بعدد يوليه سنة 1925 جعل عنوانه أصول الشعر العربي TH ORIGINS OF ARABIC PETRY ونراه يستهله بموقف القرآن الكريم من الشعر متحدثا عن بدء ظهوره ونشأته وآراء القدماء في ذلك، ثم ينتقل إلى الحديث عمن حفظه وينفي أن تكون الرواية الشفوية هي التي حفظته وقد كما أن سلسلة روايته لم تنقطع حتى عصر التدوين، ولكن مرجليوث يذهب هذا المذهب ليقول أنه لم تكن هناك وسيلة لحفظه سوى الكتابة ثم يعود فينفي كتابته في الجاهلية ليؤكد أنه نظم في مرحلة زمنية تالية للقرآن الكريم."[2]

والدكتور طه حسين على كل حال قد تعرض لمقالة مرجليوث أصول الشعر العربي وتأثر بها ووقف عندها وأخذ من مقالته ما استفاد منه، ويعتبر طه حسين من أوائل النقاد المحدثين الذين شكّكوا في الشعر الجاهلي وذلك من خلال كتابه في الشعر الجاهلي الذي نشر سنة 1926، أو بديله الأدب الجاهلي الذي نشر بعده سنة 1927.

من خلال إطّلاعنا على مجموعة من الكتب والمقالات لاحظنا أن كتاب طه حسين في الأدب الجاهلي قد أثار حركة نقدية كبيرة اعتبرها الدارسون أكبر حركة نقدية عرفها النقد العربي الحديث فقد أخذ الكتّاب والنقاد وعلماء الدّين وعلى عاتقهم مهمة الرد على طه حسين، في دعوته إلى استعمال الشك كمنهج علمي في دراسته للشعر الجاهلي من أجل الوصول إلى حقيقته وقد استند في شكه هذا على مرجعية غربية تتمثل في ديكارت بفلسفته العقلية حيث اتخذ من

[1]- الأمير شكيب أرسلان: **الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبية**، تحقيق محمد عبده، دار الثقافة للجميع، ط1، 1400هـ-1980م، ص3

[2]- علي خليفة: **الأدب في العصر الجاهلي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2014، ص69

الشك منهجا للوصول إلى الحقائق في كل العلوم، وهو المنهج نفسه الذي تبناه قبله الفيلسوف أبوا حامد الغزالي، ولكنه منهج مضبوط بقواعد فلا يُستعمل على إطلاقه، حتى لا تقع الدراسة في فوضى تقويض الثوابت وهو ما وقع فيه فعلا طه حسين لما اعتبر الشعر الجاهلي كله منحول من طرف الإسلاميين، مما خلق منعطفا خطيرا وتحولا كبيرا في مسار الفكر العربي والنقد الحديث عند العرب"[1]؛ أي أنّ طه حسين يرمي إلى إنكار الشعر الجاهلي ويدعوا إلى الانصراف عنه، لأنّه منحول ولا يمثل الحياة الجاهلية وهذه الفكرة استنبطها من مبادئ منهج لشك ديكارتي؛إذ انطلق من الشك للوصول إلى اليقين، وهذا الشك أثار الرأي العام وردود أفعال عنيفة لدرجة أن صودر كتابه في الشعر الجاهلي من المكتبات.

ويرى معظم النقاد والدارسين العرب الذين اشتغلوا على طه حسين أنّه تأثر بالفكر الاستشراقي سواء التأثر المباشر من خلال أساتذته الذين أخذ عنهم في الجامعة المصرية أو في فرنسا؛ "ففي مطلع القرن العشرين كان تاريخ الأدب حكرا على أروقة الأزهر تحتر فيها أكثر الأفكار التقليدية في مضمار القواعد اللغوية للكتابة شعرا ونثرا: من حيث النحو والصرف والبديع والعروض، قد قدر لطه حسين أن يعايش هذه الطريقة العلمية الحديثة حين انتسب إلى الجامعة الأهلية منذ 1908؛ودرس على يد المستشرقين الأوروبيين وعلى رأسهم نيللينوا، وقد منحته الدراسة بالجامعة الأهلية ارتكاز إلى ثقافته الأدبية واللغوية أصلا-القدرة على صياغة رسالته للدكتوراه عن (أبي العلاء) عام 1914 ثم ما لبث أن بُعث إلى فرنسا حيث قدم رسالته الثانية للدكتوراه عن الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون تحت إشراف دور كايم وجوستاف لوبون."[2]

[1]- عمرو زاير، **مقال منهج الشك عند طه حسين ومرجعياته**، -التواصلية العدد الحادي عشر، جامعة بليدة، 2-الجزائر.

[2]-محمد عبد الشفيع عيسى، **مقال، طه حسين والفكر العربي المعاصر الأدب والتغير الاجتماعي**، بوابة الهدف الإخبارية، 22/سبتمبر/2018.

الفصل الأول

نشأة الشعر الجاهلي وقضية الانتحال

المبحث الأول: نشأة الشعر الجاهلي.

لتعرفنا على نشأة الشعر الجاهلي وتطوره نتطرق أولا إلى كلمة الجاهلية.

فلقد أطلق المؤرخون والكتّاب من العرب والافرنج صفة الجاهلية على تاريخ الغرب منذ بداية خلقهم إلى ظهور الشريعة ولكن النقاد اجمعوا امرهم في هذه التسمية على الفترة من الزمان التي نظم فيها الشعر الجاهلي وهي السابقة للمبعث بقرنين من الزمان. وليس المقصود بالجاهلية معناها اللفظي اللغوي أي حالة الجهالة التي يقابلها العلم والمعرفة لأنّ من كانت صفاتهم صفات العرب قبل الإسلام لم يكونوا أبناء جاهلية جهلاء من "الجهل بل أحراهم أن يكون أطلق عليهم ذلك لشيوع عبادة الأوثان بينهم. فلا جدال في أنّ كثيرين من العرب قبل الإسلام كانوا مجوسا وصابئة وكان منهم دهريون وعباد كواكب ووثنيون يعبدون الاصنام والانصاب فالجاهلية يقصد بها تلك الوثنية التي كانت سائدة قبل الشريعة وذلك الخلق الوحشي الفطري المشبع بالاعتداد بالنفس والاثرة وسرعة الغضب والتحلل من القيود والإباحة."[1]

لفظة الجاهلية من حيث معناها وأصلها هي عبادة الأوثان والخلق الفطري السائدة آنذاك بين العرب وقبائلهم وصفات التي تميز بها العربي في الجاهلية من قسوة وشدة.

وقد قسّم المؤرخون الجاهلية إلى قسمين:

1/-الجاهلية الأولى:

وهي الجاهلية القديمة الضاربة في أعماق التاريخ والتي عرف من أصحابها العرب البائدة، أو العرب الهالكة، من عاد وثمود، وطسم وجديس والعمالقة، ومدين وعبد ضخم، وأميم، وجرهم الأولى، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم دون تحديد زمني، والتي لا نعرف عن شعرائها شيئا.

[1]- محمد لطفي جمعة، **نقد كتب في الشعر الجاهلي، الشهاب الراصد**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، القاهرة، 1917هـ-2017م، ص49-50.

2/-الجاهلية الثانية:

وهي الجاهلية القريبة من بعثة النبي محمد-صل الله عليه وسلم- والتي سبقت ظهور الإسلام مباشرة، فامتدت إلى ما يقرب من أربعة، أو خمسة قرون، والتي ينسب إليها، وإلى ما قبلها بقليل العرب المستعربة، سواء أكانوا من القحطانيين سكان اليمن، وجنوب شبه الجزيرة العربية كمعين وسبأ، أم كانوا من عرب العدنانية، أو عرب الشمال بتهامة والحجاز ونجد، وما كان على مشارف بلاد فارس والعراق والشام، هؤلاء العرب الذين عنهم أخذنا اللغة العربية شعرا ونثرا، والذين فيهم تنزّل القرآن الكريم، ومن بين ظهرانيهم خرج الرسول العربي محمد-صل الله عليه وسلم".[1]

كان للجاهلية أقسام تميزة بها أولها الجاهلية القديمة التي كان لها صدى كبير في التاريخ، تمثل أصحابها بالعرب البائدة، والجاهلية الثانية وهي التي سبقت ظهور الإسلام وينسب إليها العرب المستعربة.

وبعد ذلك مرّ الشعر الجاهلي بعدة مراحل تتمثل في: "أنّ المراحل التي قطعها الشعر العربي حتى استوى في صورته الجاهلية غامضة، فليس بين أيدينا أشعار تصور أطواره الأولى، إنما بين أيدينا هذه الصورة التامة لقصائده بتقاليدها الفنية المعقدة في الوزن والقافية وفي المعاني والموضوعات وفي الأساليب والصياغات المحكمة، وهي تقاليد ستارا ضفيفا بيننا وبين طفولة هذا الشعر ونشأته الأولى فلا نكاد نعرف من ذلك شيئا."[2]

نرى من خلال ما سبق أن المراحل الأولى لنشأة الشعر الجاهلي التي تحصلنا عليها من خلال المصادر القديمة لم تكن هي الصورة الكاملة للشعر الجاهلي، بل مجرد تصورات أولى لهذا الشعر وبعض موضوعاته وألوانه الفنية، من خلال هذا يوضح لنا شوقي ضيف في قوله:"من العبث أنّ

[1]- حسين علي هنداوي، **موسوعة تاريخ، الأدب والنقد والحكمة العربية في العصر ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي)**، المجلد الثاني، ص49.

[2]- شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، دار لمعارف، ط11، القاهرة، 1119م، ص183.

نحاول الكشف عن بداءة هذا الشعر، وأن ننقب عن أول طلائعه، فقد تورات هذه الطلائع وراء طبقات من الأحقاب الطوال لا يعلمها إلا الله ولكن ذلك لا يمنعنا من تقرير أنّ أقدم شعر مما وصل إلينا قد قيل قبل الإسلام بنحو مئة سنة على الأكثر، وهو شعر مقصد مطول، فليس بمعقول أن يكون ممثلا لطفولة الشعر وهو على ما نرى من نضج في الأسلوب والموسيقى والمعنى والتصوير، بل المعقول أن يكون قد سبق بمحاولات اهتدت بها الأحقاب، وتعهدها بالكمال جيل بعد جيل، حتى وصل إلى هذا الكمال الذي نراه."[1]

يرى الدارسون أنّ الشعر الذي وصل إلينا الآن قد سبقته عدة محاولات عبر العصور وتورات به الأجيال قبل الوصول إلينا.

وعليه فقد حاول "ابن سلام أنّ يرفع جانبا من هذا الستار فعقد فصلا تحدث فيه عن أوائل الشعراء الجاهلين، وتأثر به "ابن قتيبة" في مقدمة كتابه الشعر والشعراء، فعرض هو الآخر لهؤلاء الأوائل، وهم عندهما جميعا أوائل الحقبة الجاهلية المكتملة الخلق والبناء في صياغة القصيدة العربية، وكأن الأوائل الذين أنشأوا هذه القصيدة الزمن الأقدم ونهجوا لها سننها طواهم الزمان، وفي ديوان "امرئ القيس":

عُوْجَا عَلى الطَّلَلِ المُحِيْلِ لَعلّنَا نَبْكي الدّيَارَ كَمَا بَكَى ابنُ خِذَامِ

ولا نعرف من أمر "ابن خذام" هذا شيئا سوى تلك الإشارة التي قد تدل على أنّه أول من بكى الديار ووقف في الأطلال."[2]

من خلال ما سبق حاول "ابن سلام" من خلال ما جاء في فصله أنّ يتحدث عن أوائل الشعراء الجاهلية والذين أنشؤوا القصيدة، وكان لهم الفضل الأكبر في بداية الشعر الجاهلي ونموه،

[1]-أحمد محمد الحوفي، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، مكتبة النهضة ومطبعتها، ط2، مصر، د.ت، ص118.
[2]-شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص183.

وكان أول إنشاد تحصلنا عليه ديوان "امرئ القيس" الذي بدأ مطلع قصيدة بالبكاء على الأطلال والديار.

وضح لنا عبد الرحمان بدوي من خلال كتابه البدايات الأولى للشعر فقال: "إن الإنتاجات الأولى للشعر العربي القديم، التي حفظت لنا على شكل مقبول، تبدي في جوهرها عن نفس الأشكال الخارجية والباطنية التي نعرفها في قصائد الشعراء المعاصرين "النبي" محمد صل الله عليه وسلم. وإذا كان من الضروري أن نفترض أن كل الشعر العربي نشأ عن شعر الرجز الأبسط شكلا، فإنّ تكوين الأشكال الأكمل ابتداء من الرجز قد تم قبل التاريخ المؤكد؛ ويبدو من الطريقة التي يتحدث بها "امرؤ القيس" ويقول انه إنما يحاكي من سبقه (نشرة دي سلان، ص36، البيت رقم8).-أن الكيفية المميزة للشعر البدوي: من بدء القصائد بالبكاء على الأطلال-كانت في زمانه جديدة نسبيا، ومن حق الإنسان مادامت كيفية الاستهلال مهمة جدا بالنسبة إلى بناء القصيدة كله-أن نستنتج أن شكل القصيدة في عصر "امرؤ القيس" لم يكن قديما جدا، أو يبدو لي على الأقل أن استخراج هذه النتيجة أولى من الاعتماد على أقوال أهل اللغة والأدب فيما تعلق بنسبة هذه الطريقة في النظم لهذا الشاعر أو ذاك، بيد أن يلوح من ناحية أخرى أن الأشكال المنقولة قد أدت أحيانا عند الشعراء القدماء إلى صنعة MANIER تثير الشك والاتهام بأنها لم تعد بعد حية وأنها نشأت قبل ذلك بزمان طويل، لكن مهما يكن من شيء، فإنه لا يوجد لدينا بيت شعر وثيق النص يمكن أن يرجع إلى ما قبل 500 ميلادية."[1]

تعتبر بعض القصائد التي وصلتنا من العصر القديم من أمثال قصيدة "امرؤ القيس" فليست هي أقدم بل يظنوا أنّه يوجد هناك ما لم يصلنا وذهب مع الأحقاب وندثر، أي ليس هناك بيت يرجح إلى ما قبل 500 ميلادية.

[1]- ينظر: عبد الرحمان بدوي، **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي**، ترجمة عن الألمانية والإنجليزية والفرنسية، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1979، ص17-18.

يرى الباحث أبو فهر محمود شاكر "أن قول الجاحظ في قضية عمر الشعر الجاهلي هو من أقدم ما قيل في هذه القضية، ولثقة الناس بعقل الجاحظ ونظره، فإنّه يثبت هنا مقالته كلها التي تتعلق بالشعر خلال ما أفاض فيه من ذكر فضل الكتابة والكتاب، وهذا نص ما قاله في كتاب الحيوان(1-71-85)."[1]

كما يرى أبو فهر شاكر "أن العرب في العصر الجاهلي كانت تعطي أهمية كبيرة للشعر وذلك في قوله:"فكل أمة تعتمد في استبقاء وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفّى، وكان ذلك هو ديوانها...وذهبت العجم على أن تقيّد مآثرها بالبنيان...بنى أرد شير بيضاء اصطخر، وبيضاء المدائن، والحضر، والمدن والحصون والقناطر والجسور والنواويس، ثم إن العرب أحبت أن تشارك العجم في البناء، وتنفرد بالشّعر، فبنوا غمدان، وكعبة نجران، وقصر مارد، وقصر مأرب، وقصر شعوب، والأبلق الفرد". ثم انتهى أبو عثمان إلى أن قال:" وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السنّ، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه: امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة. وكتب أرسطوطاليس، ومعلمه أفلاطون، ثم بطليموس، ويمقريطس وفلان وفلان قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور، والأحقاب قبل الأحقاب."[2]

إذن العديد من النقاد القدامى عرفوا الشعر الجاهلي منذ القدم من بينهم " أبو عثمان الجاحظ" هو من الأوائل الذين تكلموا في قضية الشعر الجاهلي، وذلك من خلال ما عرضناه في مقالته التي تتعلق بالشعر وفيها ذكر فضل الكتابة والكتاب.

كان الشعر العربي في بداياته الأولى يتميز بالفطرة والسليقة وقد أكّد هذا الأمر محمد لطفي جمعة وذلك في قوله:"الشعر العربي الأول أنه شعر وجداني يمثل العواطف والإحساسات الشخصية

[1]-- ينظر: أبو فهر محمود شاكر، **قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام**، دار المدني، بجدة، مؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، 10محرم1418ه-18ماي1997م، ص11.

[2]- نفس المرجع ونفس الصفحة.

وقد احتوى في جملته على أنواع كثيرة وأن هذا الروح الشعري الفطري هو سبب ما فيه من المتانة وخفة الروح وموفقته لكثير من الطبائع، فإن أكبر المظاهر البلاغة العربية الأولى هو الشعر، وأكبر منابع الشعر الفطرة والوجدان والخيال والحياة العامة، فالشعر القديم وجداني فطري في أصله ومأخذه اجتماعي في صورته وشكله لأن به كثير من أثر الاجتماع العربي."[1]

الشعر العربي القديم إذن في طبيعته الأولى كان وجداني فطري وعبارة عن رمز للبلاغة والبيان لأنه يصور العواطف والأحاسيس ويعتمد الخيال، " كما كان العربي في بدء عهده ينظم الشعر ولا يعرف ما قوافيه وأعاريضه وما علله وزحافاته ولكنه سمع أصوات النواعير وحفيف أوراق الأشجار وحرير الماء وبكاء الحمائم فلد له صوت تلك الطبيعة المترنمة ولذ له أن يبكي لبكائها وأن يكون صداها الحاكي لنغماتها فإذا هو ينظم الشعر من حيث لا يفهم منه أنه خيال قريحته ولا يدرك من أوزانه وضروبه إلا أنها صورة من حركات ناقته، قال: الأستاذ"كليمان هوار" أستاذ الآداب العربية بجامعة باريس في ص4 من كتابه آداب اللغة العربية "أن الأسفار الطويلة على ظهور الإبل حببت للعربي نشيد الألحان يتلهى بها ويشفي ما يصيبه من أوصاب ودوار. ثم أدرك العربي المنشد الحادي أنّه كلما سارع في الإنشاد رفعت الناقة رأسها وأوسعت خطاها كأن بين خطاها وأوزان الشعر ارتباطا فظهرت تلك الضروب عفو لأنها ثمرة طبيعية من ثمار العبقرية البدوية."[2]

إذن الشعر الجاهلي في قدمه بالنسبة للشعراء كان مجرد أصوات تحاكي الطبيعة ونغام تتوارى بينهم، دون معرفتهم بنظم الشعر وفهمه، كما قال الأستاذ"كليمان هوار" في كتابه "حب العربي لتشيد الألحان وتلهي بها كانت تأتي على الإبل وخطاها وتشكل بذلك الخطى أوزان وتمثلها، ويعني هنا الأستاذ حسب قوله إن الشعر العربي قديما كان عبارة عن أصوات تتجسد على وقع حوافر الإبل.

[1]-محمد لطفي جمعة، **الشهاب الراصد**، مرجع سابق، ص275.

[2]- نفس المرجع، ص 277.

للشعر الجاهلي بوادر ومن خلال كتاب حسين الهنداوي تطرقنا إليها في قوله: "الطفولة الأولى للشعر الجاهلي الذي وصل إلينا بصورة مكتملة؛ إذ إنّ القارئ لقصائد الشعر الجاهلي يرى صروحا عظيمة مكتملة البناء. فالقصيدة الجاهلية بناء متماسك، ونهج قويم يكشف عن عبقرية أدبية، لم يستطع أحد إلى يومنا هذا أن يصل إلى موازنتها. وفي بحثنا عن أوليات الشعر الجاهلي نجد أنّ أقدم نص وصل إلينا لا يتجاوز مئة وخمسين عاما، أو مأتي عام قبل مبعث النبي-صل الله عليه وسلم-، وإنّ أقدم هذه النصوص كان لامرئ القيس والمهلهل بن ربيعة، وإن كانت عادة الوقوف على الأطلال أخذت من شاعر سماه الشعراء الجاهليون "ابن حزام"، ولكن لا نجد بيتا واحدا لهذا الشاعر، وقد أشار إلى ميلاد الشعر (الجاهلي) "الجاحظ"، واعتبره ميلادا حديثا، وما يزال النقاد يستغربون كون حرب البسوس هي البداية للشعر الجاهلي. ويعلل النقاد السبب المباشر المؤثر في عدم اكتشاف طفولة الشعر الجاهلي هو الرواية الشفوية للأدب الجاهلي، حيث تعرض قسم كبير من هذا الشعر للنسيان والإهمال، كما أنّ الرسول-صل الله عليه وسلم-قد نهى عن رواية نوعين من الشعر:

- الشعر الذي يحمل صفات الإقذاع.
- الشعر الذي يحمل الفحش والإساءة الخلقية للمرأة.[1]

إذن الشعر الجاهلي يعد النصوص القديمة التي تناولها الشعراء في العصر الجاهلي، وقبل الوصول إلينا مرّ بعدة صعوبات حتى وصل بين أيدينا في صورته الكاملة.

بين لنا محمد لطفي جمعة في قوله: "أنّ الشعر الجاهلي في حقيقته هو عبارة عن تصوير حياة العرب الجاهلية، لأنه يعتبر بمثابة صورة لحياتهم، وأخلاقهم، وآدابهم، وما نذكره مثلا تصور تلك الحياة كقول الأحوص يفتخر بكرمه:

يا جَارَتِي بِيْنِي فإِنَّكِ طَالِقَةْ كذاِك أُمورُ النّاسِ غادٍ وَطَارِقَةْ

[1]-حسين الهنداوي، **الأدب والنقد والحكمة العربية في العصر ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي)**، مرجع سابق، ص101.

وكان العرب في الجاهلية، يطلقون نسوتهم ودليل ذلك من قول الأعشى:

ومن ذلك حبهم الخيل وحرصهم على حفظ أنسابها وأسمائها، دع عنك ترتيبها في نظم المسابقة حيث قالوا المجلي، والمصلي والمسلي والعاطف والمرتاح ثم الحظى ثم المؤمل وهذه السبعة ذات الحظوظ."[1]

كانت الحياة الجاهلية للعرب وعقليتهم تتميز وتتضح من خلال أشعارهم؛ أي من خلال الشعر الجاهلي الذي يعد صورة لتلك الحياة الفذة.

الشعر الجاهلي مرّ بتغيرات خلال تطوره كما يوضح لنا ديزيره سقال في قوله: "نرجح أنّ الشعر قد تطور من أناشيد دينية ترفع للآلهة، كان العرب "يستعينون بها على حياتهم، فتارة يطلبون منها القضاء على خصومهم، وتارة يطلبون منها نصرتهم ونصرة أبطالهم، ومن ثم نشأ هجاء أعدائهم ومدح فرسانهم وسادتهم، كما نشأ شعر الرثاء، وهو في أصله تعويذات للميت حتى يطمئن في قبره، وفي أثناء ذلك كانوا يمجدون قوى الطبيعة المقدسة التي تكمن فيها آلهتهم، والتي تبعث فيهم الخوف، ومعنى هذا كله أن موضوعات الشعر الجاهلي تطورت من أدعية وتعويذات وابتهالات للآلهة إلى موضوعات مستقلة". ولعل هذا التطور قد حصل عبر فترات زمنية متباعدة تسبق المرحلة التي وصلنا منها الشعر، أي ما اصطلح عليه تسميته بالجاهلية الأولى، وهذا أمر عرفته الشعوب، لأنها توجهه إلى آلهتها بأدعية وصلوات وأناشيد خاصة تختلف عن الكلام العادي، ثم تطورت أنغام هذه الأناشيد والصلوات لتصير مع الوقت قصائد وإيقاعات شعرية. وربما كانت لا تزال في نفوس الجاهلين "بقية من هذه الصلة بين الشعر ودعاء الآلهة."[2]

نرى هنا أنّ الشعر الجاهلي كان عبارة عن تعويذات للآلهة وهي أناشيد دينية ترفع للآلهة وتمجد، ثم تطورت بعد ذلك إلى موضوعات مستقلة تمثلت في قصائد وإيقاعات شعرية تطرب

[1] - ينظر: محمد لطفي جمعة، **الشهاب الراصد**، مرجع سابق، ص ص73-74.

[2] - ديزيره سقال، **العرب في العصر الجاهلي**، دار الصداقة العربية، ط1، بيروت، 1995، ص ص136-137.

النفوس، وأيضا ارتبطت نشأة الشعر عند العرب بالسحر، يقول في ذلك "كارل بروكلمان" حقا لا تبدو آثار واضحة لمثل هذا التأثير السحري في بلاد العرب إلا في أوائل الشعر الهجاء فحسب، كما وضح ذلك "جولد زيهر"، ومن قبل أنّ ينحدر الهجاء إلى شعر السخرية الاستهزاء، كان في يد الشاعر سحر يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير السحري. من ثم كان الشاعر، إذا تهيأ لإطلاق مثل ذلك اللعن، يلبس زيا خاصا شبيها بزي الكاهن.

من خلال ذلك بين لنا علي خليفة "أن تسميته بالشاعر، أي العالم، لا بمعنى أنه كان عالما بخصائص الفن أو الصناعة المعينة، بل بمعنى أنه شاعرا بقوة شعره السحرية، كما أن قصيدته هي القالب المادي لذلك الشعر."[1]

لقد كان للشعر الجاهلي بدايات عديدة ومراحل مختلفة لتطوره حتى وصل إلينا كاملا، ومن بينها أنه تطور إلى أناشيد دينية ترفع للآلهة، وأيضا ارتبطت نشأته بالسحر وذلك أن الشاعر عندما يقوم بطرح شعره يستعمل قوى السحر لديه لتعطيل خصمه وتأثير فيه بالشعر، لذا سمي شاعرا لأنه يشعر بكل شيء حوله ويعلمه وله قوة سحر خفية فيه ه التي تجعله يقول الشعر، وعليه فإن نشأة الشعر الجاهلي كانت لها ارتباطات بالسحر عند تطوره.

ومن خلال ما رأيناه نلاحظ "أنّ الشعر الجاهلي يعتبر أقدم مما يظن بكثير، وأنه تدرج من السجع إلى الرجز، ثم المقطعات والقصيد، ثم إلى هذه الضروب من الأوزان والقوافي قبل العهد بزمن طويل. وإذا كان الباحثون إلى الآن لم يوفقوا إلى العلم بشيء من أوّلية الشعر وراء هذا التاريخ، فمن العبث إذا محاولة الكلام فيما ينسب من الشعر إلى العرب البائدين، وإلى الجن والملائكة وإلى آدم صلوات الله عليه، وقال "ابن عباس" –رضي الله عنه–(من زعم أنّ آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله)."[2]

[1]–علي خليفة، **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ص49–50.

[2]–محمد هاشم عطية، **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي**، دار العلوم العليا، ط3، 1355ه–1963م، ص94–95.

كما نجد الفارابي "يضع تعليلا منطقيا لنشأة الشعر (انطلاقا من التجوز) وتطويره المتمثل في تركيز الاهتمام بشكل المنجز اللغوي ذاته، وإجراء التصحيحات المستمرة عليه بما يتفق وطاقته التعبيرية الجمالية فيستقيم الشكل الفني تدريجيا. فبعد مرحلة التجوز تحدث الاستعارات والمجازات والاكتفاء بلفظ معنى ما عن التصريح بلفظ المعنى الذي يتلوه متى كان الثاني يفهم من الأول...والتوسع في العبارة بتكثير الألفاظ وتبديل بعضها ببعض وترتيبها وتحسينها، فيبتدئ حين ذلك حدوث الصناعة الخطابية أولا، ثم الشعرية قليلا، كما يذهب إلى ذلك ابن رشد."[1]

الباحث هلال الجهاد يرى "أنّ الشعر العربي شكلا فنيا يتحرك أو يتطور، وذلك بفضل اللغة وتطورات الحاصلة لها على مستوى المعنى وتبادل الألفاظ وتنظيمها وتهذيبها، وقد مرّ الشعر الجاهلي بمراحل عديدة منذ تنبه الإنسان إلى إمكانية اللغة وقدرتها على استيعاب وعيه ووجوده الذاتيين مرورا بمرحلة تكوين البؤرة الأساسية للشعر والتأسيس للوعي الحضاري من خلال جدلية الوجود للموت-الوجود للحياة في أبسط صورها المنعكسة في الرثاء المباشر للذات. وامتازت بتنويعات فنية محدودة ومتناسبة مع ما قدمته، وما انبثقت عنه، من وعي."[2]

بالتالي نرى أنّ منذ اكتساب الإنسان للغة ومعرفتها، استطاع الشعر من خلالها أنّ ينتقل من مرحلة إلى مرحلة حتى تشكل في صورة فنية مستقرة.

[1]- هلال الجهاد، **فلسفة الشعر الجاهلي، "دراسة تحليلية في حركية الوعي الشعري العربي"**، - ينظر: دار الثقافة والنشر، ط1، سوريا، دمشق، 2001م، ص78.

[2]-هلال الجهاد، **فلسفة الشعر الجاهلي، "دراسة تحليلية في حركية الوعي الشعري العربي"**، - ينظر: ص124.

المبحث الثاني: الرواية الشفوية والكتابة والتدوين.

إنّ الشعر الجاهلي عند نشأته مرّ بعدة مراحل منها الرواية الشفوية والكتابة والتدوين، من خلال هذه العناصر تكون واكتمل في صورته الكاملة التي بين أيدينا الآن.

المطلب الأول: الرواية الشفوية.

نلاحظ أنّ الشعر الجاهلي في بداية تشكله عند العرب "قد استبان لنا بجلاء ووضوح أنّ العرب في الجاهلية عرفوا القراءة والكتابة، بيد أنّها لم تكن شائعة أو منتشرة فيما بينهم، والدليل على ذلك أنّ الأستاذ (محمد فريد وجدي) حصر عدد القارئين في الجزيرة كلها بما لا يزيد عن تسعة عشر، منهم اثنان أو ثلاثة في مكة، ولقد كان اعتمادهم في تسجيل الشعر الجاهلي على الحفظ حيث لم تكن الكتابة فاشية فيهم كما أوصانا آنفا، ولو أنّ الكتابة فاشية فيهم ما عدلوا إليها ولا استغنوا بها عن الحفظ، ومن هنا نشأة طبقت النسابين وهم رواة الجاهلية وعلماؤها، ومن أشهرهم (دغفل بن حنظله، عبيد بن ثرية الجر همي، وابن الكيس التميرى، وابن لسان الحمرة) وغيرهم."[1]

إذن الرواية الشفوية والكتابة في العصر الجاهلي عند العرب الجاهلين منتشرة وشائعة آنذاك، إلا بمراحل قليلة ظهرت خاصية الحفظ عندهم قبل الكتابة عند بعض الرواة.

يرى الباحث جابر عصفور "أنّ النزعة الشفوية تعني النظرة الأحادي للكون والارتجال والتكرار الذي هو تنويع على مركز واحد. وتشير هذه النزعة، إبداعا، إلى الطبع البسيط للعفوية البدوية التي ينثال معها الكلام انثيالا أحادي البعد، وتدفق البديهة الأعرابية التي ترتجل بلا معاناة أو معاودة أو مكابدة. وهي قرينة الوعي بجمعية التلقي التي تنعكس على كيفية الأداء والإبداع.

[1]- علي أحمد الخطيب، **الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين**، دار المصرية اللبنانية، ط1، الأزهر، صفر1424ه، أبريل2003م، ص119.

معانيها في ظاهر ألفاظها، غنية عن التأويل، بعيدة عن الإيماء المشكل، تعتمد على التكرار الذي يعين الذاكرة على الحفظ."[1]

تعد الشفوية هي التكرار الذي يساعد الذاكرة على الحفظ، وترمز إلى العفوية البدوية البسيطة التي ينثال منها الكلام.

كما نلاحظ "أنّ الفنية المميزة للشعر الشفوي التي استعملها الشعراء الشفويون لنظم شعر منتظم قد أصبحت مفهومة عن قرب وإلى حد بعيد خلال الثلاثين سنة الماضية أكثر مما كان قبلا في زمن مضى ومنذ إطلالة النقد الأرسطي في اليونان القديم. ويعود اكتشاف وتقدم دراسة طريقة النظم الشفوية بشكل رئيسي إلى التحقيقات التي توصل إليها "ميلمان باري وألبرت ب-لورد" فقط طبق "باري" أولا فكرة القالب الصياغي على دراسة "هومر" ثم توصل إلى استنتاج المقبول اليوم بشكل عام، وهو أن "هومر" كان شاعرا شفويا. وقد التفت "باري" من أجل تعزيز أطروحته إلى تقليد حي للشعر الملحمي الشفوي، أعني التقليد الذي حافظ عليه وانهمك فيه مغنون يوغسلافيون أميون، وقد ارتجى أن تكشف رؤى جديدة تطبق الدراسات الهومرية وذلك عن طريق تركيز الانتباه على المغنى وعلى طريقته في النظم والتي تدرس في مختبر التقليد الشفوي الذي لا يزال موجودا."[2]

ومن هنا فإنّ دراسة النظم الشفوية تعود إلى التحقيقات التي توصل إليها كل من "باري ولورد"، وتمكنوا أيضا من توضيح النظم الشفوية للشعر عن المكتوب من خلال ذلك؛ "رواية الشعر الجاهلي قضية شائكة آثارت جدلا واسعا لما اكتنفها من غموض وما قام حولها من شكوك ظلت محل جهود دارسي الشعر العربي من القدامى والمحدثين، وقد اجتهد من أجل معرفة حقيقتها

[1]- جابر عصفور، **غواية التراث**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، رمضان1432ه-أغسطس2011م، ص171.

[2]- فضل عمّار العماري، **النظم الشفوي في الشعر الجاهلي**، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، ط1، الرياض، 1407ه-1987م، ص26.

عدد كبير من العلماء منذ فجر الدراسة الأدبية العربية واستطاعوا أنّ يحددوا المراحل التي مرت بها وهي عندهم ثلاث:

1.مرحلة الإنشاد.

2.مرحلة الجمع.

3.مرحلة التدوين.

ويهمنا-في بحثنا هذا-المرحلة الأولى التي استمرت طيلة العصر الجاهلي، أي منذ عصر كبار الرواد من شعراء الجاهلية من أمثال "زهير بن جناب الكلبي"، "ومهلهل بن ربيعة التغلبي"، "وأبي دؤاد الإيادي"، "والمرقش الأكبر البكري" وغيرهم ممن جعل العلماء بدايات نظم القصائد على أيديهم، إلى نهاية الجاهلية وبداية عصر النور الذي هل على العرب والبشرية جمعاء بنزول الرسالة المباركة على نبينا محمد-صل الله عليه وسلم-."[1]

بالتالي آثارت رواية الشعر الجاهلي جدلا كبير في الساحة الأدبية، وذلك لما تميزت به من غموض وشكوك طرحها دارسين الشعر العربي لمعرفة حقيقتها فتوصلوا بعد ذلك إلى ثلاث مراحل منها وأولها الإنشاد، وهذه المرحلة تعد من المراحل التي اعتنى بها العرب وجعل منها وسيلة لحفظ أشعارهم، وإن وسيلة الحفظ ظلت محل جدل إلى يومنا، حيث رأى بعض الدارسين أنّ الرواية الشفوية هي وسيلة انتقال الشعر الجاهلي من جيل إلى جيل حتى وصل إلى عصر التدوين في القرن الثاني حيث دون في دواوين خاصة، ومجموعات عامة.

[1]- يوسف غيوة، مجلة، **وسيلة حفظ الشعر الجاهلي في مرحلة إنشاده بين الرواية الشفوية والتدوين**، العدد03، جامعة قسنطينة، ص61.

كما يرى يوسف غيوة "أن هناك فريق آخر يقف موقف وسطا بين أولئك وهؤلاء، وأنّ العرب الجاهلين كانوا قد دونوا بعض أشعارهم، لكن الرواية الشفوية هي التي حفظت الشعر الجاهلي من التلف والضياع."[1]

وسيلة الحفظ كانت محل نقاش وجدل بين الدارسين حتى رأى بعضهم بأنّ الرواية الشفوية هي الوسيلة لانتقال الشعر وتداوله وصولا إلى مرحلة التدوين.

ناصر الدّين في كتابه يقول: "للرواية دور تقوم به وهو الحفظ والنقل والإنشاد، كالرواية المجردة في دورها الأول، وأضيف إليها الضبط الإتقان والتحقيق والتمحيص والشرح والتفسير وشيء من الإسناد. وأنّ ذيوع شعر الشاعر أو أخبار القبيلة ومآثرها لم قائما على القراءة من الديوان أو الكتاب، وإنما كان يقوم على الرواية الشفهية من فرد إلى فرد ومن جيل إلى جيل. ولقد الرواة أو الشعراء أو أبناء قبيلة الشاعر أو الممدوحين من السادة والأشراف يحفظون الشعر ويتناقلونه إنشادا-لا قراءة-في مجالسهم ومشاهدهم وأسواقهم، ويرددونه شفاها في سمرهم ومحافلهم ومنفراتهم ومواقف فخرهم، فيشيع بين العرب، وتناقله الركبان، عن هذا الطريق من الرواية الشفهية، لا عن طريق القراءة والمدارسة من الكتاب أو الديوان."[2]

للرواية دور كبير في الشعر الجاهلي تميز في الحفظ والنقل والإنشاد، إضافة إلى ذلك "الضبط والإتقان والشرع والتفسير"، وبفضل هذه الرواية الشفهية ذاع صيت الشعر بين الشعراء والقبائل حتى أصبح محل تنافر وتبادل في الأسواق ومنافرات إنشادا لا قراءة.

إذن إن "دراسة الحقبة الجاهلية هي عملية تأويلية نشطة تقوم أساس على استنطاق النصوص وتحليلها وتأوليها لأننا لا نملك وثائق تاريخية مباشرة لهذه الفترة، وإنما نصوص أدبية يجب التعامل معها بحذر وتأنّ، والثابت أن المؤرخين أجمعوا أنّ تناقل المعرفة في هذه الفترة قام على الذاكرة و لم

[1]-ينظر: يوسف غيوة، مجلة الآداب **وسيلة حفظ الشعر الجاهلي في مرحلة إنشاده بين الرواية الشفوية والتدوين**، مرجع سابق، ص61.

[2]-ينظر: ناصر الدين الأسد، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، دار الجيل، ط1، بيروت-لبنان، ص190-191.

يستند استنادا مباشرا على الورق وأدواته، لذلك وسمت المرحلة بالارتجال والحفظ والإلقاء، وقد كان صاحب الكتاب "ناصر الدين الأسد" على وعي بأن الحديث عن رواية الشعر في الفترة الجاهلية هو عملية تستند إلى النصوص، وما النصوص سوى رؤية انطباعية ذوقية قائمة على مصادر سماعية ورواية الأخبار، ويبدو جليا حرص "ناصر الدين الأسد" على الإقرار بنسبية هذه الدراسات أحيانا دون الوقوع في الحسم القطعي أو النتائج النسبية التي لا تفيد الدرس العلمي الأدبي بنفع."[1]

إذن رواية الشعر في الجاهلية كانت تستند إلى النصوص؛ وهي عبارة عن مصادر سماعية ورواية الأخبار.

يرى عبد الرحمان بدوي في قوله: "منذ القرن الثالث الهجري أصبحت الأحاديث تروى حرفيا في العادة، باستثناء الأحوال التي فيها يشار (أو يحال) إلى الحديث مماثل موجود في مجموعة معروفة من مجاميع الحديث. فمثلا يورد "البيهقي" في "كتاب السّنن الكبير" أحاديث البخاري ومسلم المتشابهة على أنّها واحدة، دون أنّ ينتبه إلى ما بينها من اختلاف في النص. وفي الأزمنة الأولى كان من المتوقع دائما أن يعرف المعلّم الأحاديث التي يرويها مع إسنادها عن ظهر قلب، سواء كتبها أو لم يكتبها. لقد كانت غيرة المسلمين حارة جدا وكانت رواية الحديث هي الموضوع الوحيد الذي اشتغل به الآلاف منهم."[2]

الرواية بعد العصر الجاهلي صارت في تطور حتى وصلت إلى بعد ظهور الإسلام، فكان لها صدي كبير في المحافل الدينية من حيث رواية الأحاديث وإسنادها عن ظهر قلب بين الرواة المسلمين، وذلك بعد ظهور الإسلام.

[1]- ينظر: ناصر القحطاني، **مجلة الأثر رواية الشعر قراءة في مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد**، العدد26، جامعة الحدود الشمالية، المملكة العربية السعودية، العدد 26 سمبتر2016، ص99.

[2]-ينظر: عبد الرحمان بدوي، **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ص252-253.

إذن برغم ما مرّ به الشعر الجاهلي من عقبات يعد "كل ما وصلنا من الشعر القديم تراثنا. لهذا نسوقه ونشرحه ونحفظ بعض أبياته نتندر بها في المجالس؛ ونتمتع بهذا الشعر القديم، ونستدل به على طرائق حياة أسلافنا. فحتى الموضوع منه فإنه ينبئ عن تفكير وطريقة حياة المكذوب عليهم. فقبيلة تغلب التي وقعت بأيدينا قصيدة "عمر ابن كلثوم التغلبي" الجاهلي كانت تحفظها وتزيد فيها وتبالغ في تهذيبها كي تظل راية فخر ترفعها تغلب. فإذا جاء شويعر تغلبي وأضاف إلى القصيدة بيتا لا يشبه الشعر الجاهلي، جاء آخر أدرى منه بالشعر القديم وأصلح البيت أو نفاه، حتى تظل القصيدة جاهلية في أسلوبها."[1]

الشعراء في الجاهلية كان يحفظون الشعر ويقومون بتهذيبه ليصبح في أكمل وجه وأسلوب، وكل ذلك يعود إلى دور الرواية الشفوية في ضبط الشعر وحفظه لدى الرواة.

المطلب الثاني: الكتابة والتدوين

الشعر الجاهلي مر بمراحل منها الرواية الشفوية والكتابة والتدوين وهذه الأخيرة كان لها نصيب كبير في إعداد الشعر الجاهلي، حتى يصير في صورته التامة.

كما أن "العرب في الجاهلية عرفوا القراءة والكتابة، وأنّ بعض الشعراء كان كاتبا بيد أنّهم لم يدنوا شعرهم، وأنّ ما يذكر من أخبار من أنّ بعض شعراء الجاهلية دون بعض شعره على أقطاب رحله، فإنّ صح، فليس بدليل حاسم على أنّهم فكروا في تدوين شعرهم، إنما هي مقطوعات كتبت على رحل أو حجر أو عظم، أو جلد، أو حيوان، تلك الأدوات التي اشتهروا بالكتابة عليها وهي الوسائل والإمكانات المعروفة لديهم في ذلك الوقت، ولهذا لم يستخدم العرب الكتابة في تدوين أشعارهم، و لم أنّهم فعلوا ذلك لوجدنا من الرواة من يذكر أنّه نقل من قرطاس مكتوب في الجاهلية، أو أنّ شاعرا جاهليا أنشد قصيدته من صحيفة أو قرطاس مكتوب ولكن

[1]- عارف حجاوي، **أول الشعر عصارة الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي**، دار المشرف، ط2، القاهرة، 2018، ص ص15-16.

ذلك لم يحدث، ولم نجد رواية من الإثبات الثقات بدى أنّه روى ذلك الشعر نقلا عن صحف أو قراطيس كانت مكتوبة في العصر الجاهلي. حتى إن أصحاب الحوليات، كان الشاعر يعد قصيدته ويجودها في نفسه، ويرددها في ذاكراته، ثم يقوم بعد ذلك بإنشادها ويرويها الرواة عنه، وينقلها الناس حتى تنتشر وتذاع ويسير بها الركبان."[1]

الشعر الجاهلي كانت كتابته عند الشعراء عبر رحلاتهم فقط وقد جاء هكذا دون التفكير في تدوينه، وتم هذا التدوين عبر أدوات استعملوها في كتاباتهم تمثلت في حجر وعلى جلود الحيوانات وهي الوسائل المعروفة عندهم آنذاك.

يرى الباحث يوسف غيوة في قوله: "لا أحد ينكر وجود الكتابة لدى العرب في العصر الجاهلي، ولا أحد يستطيع دفع استعمال العرب لها في أغراضهم المختلفة، نزعم هذا لأنّ ما بين أيدينا من دلائل مادية قاطعة تثبت ذلك، وأصح هذه الدلائل وأهمها في رأينا أمران:

الأول فلا سبيل إلى الطعن فيه، أو حتى مناقشته، لأنّه ببساطة أمر مقدس فهو كلام الله "عزوجل"، المترل على نبيه-صل الله عليه وسلم-فقد وردت آيات كريمة عديدة تثبت معرفة عرب الجاهلية للكتابة، واستعمالهم لها في بعض أغراضهم الهامة، ومن هذه الآيات قوله "عزوجل"(يا أيها الذين أمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أنّ يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا)، أما الأمر الثاني الذي نجد دليلا ماديا على معرفة عرب الجاهلية للكتابة، واستعمالهم لها في أغراضهم الهامة، فهو الشعر الجاهلي نفسه، وما يتضمن من إشارات أو نصوص صريحة تثبت استعمال الجاهليين للكتابة في أمور حياتهم الخاصة والعامة، من هذا اللون قول المرقش الأكبر:

الدَّارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كَمَا رَقَّشَ فِي ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ."[2]

[1] - أحمد الخطيب، **الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين**، مرجع سابق، ص167.

[2] - يوسف غيوة، مجلة الآداب، **وسيلة حفظ الشعر الجاهلي في مرحلة إنشاده بين الرواية الشفوية والتدوين**، ص62-63.

ظهرت الكتابة في العصر الجاهلي عند العرب من خلال الدلائل المادية المتمثلة في القرآن الكريم والشعر الجاهلي، مثل كلام الله "عزوجل"، وتعد الآيات الكريمة من القرآن الكريم إثبات بأن للكتابة وجود بعد وقبل ظهور الإسلام ولها أهمية كبيرة في حياتهم.

ويلاحظ أيضا أنّ الكتابة "لم تتبلور في الثقافة العربية في القرن الثاني الهجري فقط، بل هي ضاربة جذورها في الجاهلية وصدر الإسلام الأول، ويذكر "ابن حبيب" في كتابه "المحبّر" تأصيلا للكتابة من خلال نص عنوانه "أشرف المعلمين وفقهاؤهم وفيه بدأ بتعداد أسمائهم بدءا من "بشر بن عبد الملك الكوني" أخو "أكيد" صاحب دومة الجندل وصولا إلى "عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وقد وردت الأسماء تباعا لما سمّاهم بأشراف المعلّمين، ومن خلال هذا التعداد نلحظ وعيا من "ابن حبيب" بضرورة الإلمام بمن امتلك صنعة الكتابة والإشادة بهم واعتبارهم من الأشراف، إذ نرى تغيّرا في مفهوم الشرف عند "ابن حبيب"، فلم يعد مرتبطا بالوازع القبليّ أو المكانة الاجتماعيّة، بالكتابة وتعليمها وإن لم تنفصل الكتابة هنا عن المكانة الاجتماعية والسلطان، إذ ارتبط عديد الأشراف بالساسة والبلاط السلطانيّ، وهذا يبرر أنّ الكتابة صناعة يحتاجها الديوان لذلك ارتبطت به وسعى إلى دعمها حتّى يؤدّي بها أغراضه ويكتمل سلطانه."[1]

كان للكتابة وتأصيلها مكانة كبيرة في الأوساط الاجتماعية والثقافة العربية لما لها من جذور في العصر الجاهلي وصدر الإسلام الأول، ارتبط تأصيلها بكتابات عديدة للرواة والمعلمين.

يوضح لنا ناصر الدّين القحطاني في قوله: "يبدو البعد التأصيلي للكتابة أكثر وضوحا من خلال هذا الشاهد المطوّل عند القلقشندي، فهو يقر بأنّ الكتابة صناعة مثل بقية الصناعات التي يكتسبها الإنسان، وهي في نظره لا تتأتى بسهولة، بل لابدّ من استيفاء شروطها وتحصيلها انطلاقا من أمور أربعة هي:

[1]-ناصر الدين القحطاني، **الشعر الجاهلي بين النظم الشفوي والتأصيل الكتابة**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد39، جامعة بابل، كلية العلوم والآداب، جامعة الحدود الشمالية، السعودية، حزيران2018، ص680.

الألفاظ والخطّ والقلم والغرض الذي تهدف إليه، وإذا ما نظرنا في هذه المستلزمات نراها مترابطة متسقة، تفسّر إلى حد واضح تمثل القلقشندي لأصول العقل الكتابي في القرن السادس الهجريّ وهو تمثل يكشف عن تراكم معرفي في الثقافة العربية الإسلامية مضيّ قرون طوال على التدوين واستحكام الكتابة وتحوّلها إلى تقليد بعد تصبر الناس بها وبأحكامها. لذلك تحدث القلقشندي بإسهاب واعتبر الألفاظ أهم شروطها، وفي هذا المنحى يرى ضرورة في اكتساب اللسان والتبصر به وتعلّم فصيح الكلام، هو شرط أول ورئيسي، ثم يصله القلقشندي بالخطّ باعتباره ترجمان للألفاظ و أداته القلم، ومن مستلزمات الكتابة، ثم يصل كلّ هذا بالغرض المؤدي، وهو منتهى صناعة الكتابة، فيها تؤدي الأعراض وتقضى الحوائج، كما أنّ الكتابة في نظر القلقشندي تؤيد الألفاظ والأغراض وتقييها من الضياع والتبدل والتغير على حدّ عبارته، ومما يمكن تأكيده في هذا الغرض أنّ القلقشندي يعي جيّدا جدوى الكتابة، فهو ضمنيا يفضلها عن المنطوق لأنّه محكوم بالتبدل والتغير والتلف، لأنّ الذاكرة قابلة للنسيان، فالكتابة القلقشندي هي تمام الكمال، وهي أبدية مطلقة لا يضاهيها التذكّر والارتجال."[1]

حاول القلقشندي تبين لنا التأصيل الواضح للكتابة من خلال الشاهد المطول عنده، واعتبر أنّ الكتابة صناعة لها شروطها ومراحلها وشرح لنا تلك الشروط، وأيضا ربط لنا الكلام بالخط وأعده من مستلزمات الكتابة لاعتبارها هي الكمال عكس الرواية الشفوية تمحيها الذاكرة والنسيان، كان تدوين الشعر الجاهلي الأصل الكلي عامة، ومزال غامض النشأة، مشكوكا في بداياته، منكورا قدمه وسبقه، فإن الفرع الجزئي-وهو تدوين الشعر الجاهلي بخاصة-لا يصح أنّ يقوم وحده معلقا في الفضاء، وحوله سحب الشك والإنكار.

وأضفنا إلى ذلك أنّ هذا التدوين العام: سواء أكان تفسيرا أم حديثا أم لغة أم أدبا عاما- يشتمل في طياته على شعر جاهلي، بل على شعر جاهلي كثير-استبنّا، لهذين الأمرين مجتمعين،

[1]-ناصر القحطاني، **الشعر الجاهلي بين النظم الشفوي والتأصيل الكتابة**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، مرجع سابق، ص681.

ضرورة الإلمام بأطراف من نشأة التدوين على أنّ نوجز القول إيجازا، هذا الحديث كله نتوصل به إلى موضوعنا الأصيل، وتتخذه معبرا نجتازه إلى بحث تدوين الشعر الجاهلي.

إذن "وأول ما يعرض لنا قبل المضي في البحث، سؤالان تعتمد على إجابتهما خطواتنا التالية؛ الأول: هل كانت الصحف من الكثرة والشيوع بمنزلة يتيسر معها أن يوجد التدوين؟ والثاني: ما هو المظهر اللغوي، أو الصورة اللغوية للتدوين في صدر الإسلام؟

وقيمة السؤال الأول في أنّ التدوين والتأليف لا يقوم لهما وجود إلا إذا كانت الصحف التي تتخذ للكتابة من الوفرة والانتشار بمنزلة يتيسر معها، لمن أراد، أن يشتري منها ما يفي بحاجته، فيستطيع أن يضم بعضها إلى بعض، ويؤلف أجزاءها ويجعل من مجموعة هذه الصحف ديوانا مؤلفا. وإذا كانت الصحف مفقودة أو نادرة أو عزيزة مرتفعة الثمن لا يستطاع الحصول عليها إلا بشق النفس أو بعد أنّ يبدل في شرائها من المال ما لا يطيقه إلا الموسرون الأثرياء، فإن استخدام الصحف للكتابة في هذه الحالة لا يكون إلا ي نطاق ضيق محدود لا يتيسر معه وجود التدوين والتأليف."[1]

نلاحظ مما سبق أنّ صاحب الكتاب الدكتور "ناصر الدين الأسد" في مصادره أشار إلى أنّ العصر الذي بدأ معه التدوين هو أمر مشكوك في صحته، ثم طرح لنا سؤالين حول التدوين، وبين لنا التدوين والتأليف وأنه لا يتأتى إلا عبر الصحف، أي أن الشعر الجاهلي في مرحلته تدوينه قد كتب على الصحف وباختلاف أنوعها.

الباحث محمد هاشم عطية يعتبر أن "الكتابة هي من الصناعات الحضرية التي تلازم الملك وتقوم مع حضارات الأمم المتمدينة، ولذا لم تفش هذه الصناعة في العرب إلا بعد ظهور الإسلام حين اجتمعت لهم أسباب الملك، وصارت لهم دولة ذات قوة وسلطان وكان رسول الله-صل الله

[1]- ينظر: ناصر الدين الأسد، **رواية الشعر، قراءة في مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، مرجع سابق، ص ص134-135.

عليه وسلم-أو من عمل على إفشاء هذه الصناعة ونشر تلك المدنية الجديدة بين المسلمين بما فرضه على غير الأميين من أسرى بدر أنّ يفتدي الأسير منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة الكتابة، فشاعت هذه الصناعة، وانتشرت بعد ذلك مع المسلمين في أقطار الأرض، أما قبل الإسلام، فقد كانت الجزيرة العربية عدا بلاد اليمن وبعض الجهات الشمالية منها خلوّا من هذه الصناعة، ينطق العربي من أهلها بالفاخر المهذب من الشعر والنثر."[1]

الكتابة صناعة حضارية انتشرت بين العرب بعد ظهور الإسلام ويعد رسول الله-صل الله عليه وسلم-هو من أفشى هذه الصناعة بين المسلمين.

بين لنا غازي طليمات أنّ "التدوين قديم بدأ في العصر الجاهلي، ثم شغل عنه العرب، ثم جدده المتأخرون. مما يحتج به أصحاب هذا الرأي، تلك الصحيفة التي دونت فيها حكمة لقمان، وكانت عند "سويد بن الصامت" قبل أنّ يسلم، ومن حججهم كذلك أن القصائد السبع أو العشر الطوال سميت (معلقات)، لأنّ عرب الجاهلية كانوا إذا استجادوا القصيدة كتبوها بماء الذهب، وعلقوها على جدار الكعبة، وإذا تراءى لبعض الدارسين أنّ يحيط كتابة المعلقات بسحاب الشك، فإنّ هذا السحاب لا يقوى على إغراق الحقيقة. فالعرب لم يكونوا جميعا يجهلون الكتابة، وإذا جهلها أغمارهم ودهماؤهم فإنّ خاصتهم-والشعراء خاصة الخاصة-عرفت الكتابة، ومن الشعراء المدينة الذين كانوا يكتبون: "سويد بن صامت الأوسي"، "وعبد الله بن رواحة" "والنابغة الذبياني"، ومن الشعراء الذين كانوا كتابا بالعربية ومترجمين في بلاط فارس "لقيط بن يعمر الإيادي. ومن الشعراء الذين تعلموا الخط والكتابة في مدارس الحيرة: "المرقش وأخوه حرملة"."[2]

[1] - محمد هاشم عطية، **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص42-43.

[2]- غازي طليمات، عرفان الأشقر، **الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه، أعلامه، فنونه**، دار الإرشاد، ط1، حمص، 1412ه-1992م، ص37-38.

حركة الكتابة والتدوين عرفت منذ العصر الجاهلي، لكن عند فئة قليلة من الشعراء، وقد تمثلت هذه التدوينات في القصائد السبع (المعلقات)، أي أنّ العرب آنذاك لم يكونوا يجهلون الكتابة إلا بعضهم فقط.

تعد أنّ "الكتابة التي عرفها عرب الجاهلية نمطان، نمط بسيط كتبت به العهود والرسائل، وأمور التجارة، ونمط راق، وإليه نقصد في هذا البحث، ويمكن أن نسميّه (التدوين)، وفي هذا النمط صورة الكتابة الأدبية، وبه انتقلت الكتابة من الصحف والرقاع المفردة إلى الدفتر المجموع "والفرق بين الصورتين-لغة واصطلاحا واضح- إذ إنّ الأولى لا تعني مجرد التقييد العابر لا يعرض من شؤون الحياة، ولكن التدوين إنما يعني جمع الصحف، وضم بعضها إلى بعض، حتى يكون منها ديوان، وهو مجتمع الصحف، ولابدّ للتدوين من أنّ يكون عملا مقصودا معتمدا، يرمي إلى هذه الغاية."[1]

إذن للكتابة نمطان عرفها العرب في الجاهلية الأول بسيط الذي يسمى التدوين والثاني راق، والتدوين يعني جمع الصحف لتصبح ديوانا، أي أنّ الكتابة الأدبية مرة بمرحلة انتقالية متنوعة.

المبحث الثالث: قضية النحل والانتحال

إن ظاهرة الانتحال ظاهرة نقدية عرفها النقد العربي أثرت تأثيرا سلبيا على أدبنا العربي القديم، في وجوده وكينونته ومصداقيته، وقبل التطرق إلى مواقف النقاد من هذه القضية، سنعرج إلى مفهوم الانتحال ثم إلى منبع ظهور هذه الظاهرة.

المطلب الأول: مفهوم الانتحال.

هو نسبة أدب إلى غير أهله، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس:" نَحَل: النون والحاء واللام كلمات ثلاث: الأولى تدل على دقة وهزَال والأخرى على العطاء، والثالثة على

[1]- محمد هاشم عطية، **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص38.

ادعاء. الأولى نَحَلَ جسمه نُحولاً فهو ناحل، إذا دق، وأنْحلَها لهمُ. والنواحل: السيوف التي رَقَّت ظباتها من كثرة الضرب بها.

الثانية: نَحَلْتُهُ كذا، أي أعطيته، والاسم النحل: قال أبوبكر: "سمي الشيء المعطى النحلان". ويقولون: النُحْل: أن تعطي شيئا بلا استعواض. ونَحَلْتُ المرأة مَهرَها. نحلة، أي عن طيب نفس من غير مطالبة.كذا قال المفسرون في قوله تعالى:"وآتوا النساء صَدُقاتهنَ نحْلة، فإنّ طبن لكم عن شيء منه نفسا فكُلُوهُ هنيئا مريئا" سورة النساء الآية 4، والثالثة قولهم: انتحل كذا، إذا تعاطاه وادَّعاه. وقال قوم: انتحله، إذا ادعاه مُحقا؛ وتنحَّله، إذا ادعاه مُبطلا.وليس هذا عندنا بشيء ومعنى انتحل وتنحُل عندنا سواء."[1]

فأصل هذه الكلمة يدل على أن الانتحال هو ادعاء الشيء للنفس وهو في الواقع للغير، أي أن شاعرا في العصر الإسلامي مثلا يقول قصيدة وينسبها لشاعر جاهلي.

المطلب الثاني: مواقف النقاد من الانتحال.

تناول موضوع الانتحال العديد من النقاد العرب وكان من ضمنهم بن سلام الجمحي؛ بحيث "يعد أول ناقد أثار في إسهاب قضية الانتحال في الشعر الجاهلي، وذلك في كتابه طبقات فحول الشعراء، وقد ذكر فيه أسباب انتحال من قاموا بنحل الشعر على الجاهليين."[2]

إذن نجد أنّ الانتحال قد مسَّ الشعر بشكل كبير وهذا ما أورده الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء في قوله:" وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه من عن

[1]- ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون**، دار الفكر للنشر والتوزيع، بدون طبعة، بيروت، 1979، ص402-403.

[2]- علي خليفة: **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص66.

أهل البادية، و لم يعرضوه على العلماء. وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي."[1]

فهنا يبين الجمحي خبث هذا الشعر المصنوع ويعتبر مفهومه هذا مفهوم شامل لمصطلح الانتحال.

كما أن قضية النحل والانتحال قد عرفت قديما وقد أكد هذا محمد صايل حمدان وذلك في قوله"ولعل قضية نحل الشعر ليست مقصورة على الأمة العربية، وإنما تتجاوزها إلى غيرها من الأمم القديمة فقد نُحل الشعر في الأمة اليونانية والأمة الرومانية من قبل وحُمل على القدماء من شعرائهما، وقد يرجع سبب ذلك إلى أن هناك تشابها بين الأمة العربية، والأمتين اليونانية والرومانية فهذه الأمم تحضرت بعد بداوة وخضعت حياتها الداخلية لظروف سياسية مختلفة، وانتهت إلى تكوين سياسي جعلها تتجاوز موطنها وتبسط سلطانها على الأرض."[2]

وهذا يعني أن هناك عوامل أدت إلى جعل العرب وحتى الأمم الأخرى ينحلون على القدماء من شعرائهم.ويؤكد ناصر الدين الأسد ذالك في قوله: "أن الوضع والنحل والانتحال كلها ظواهر أدبية عامة، لا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم، ولا يختص بها جيل من الناس دون غيره من الأجيال فقد عرفها العرب كما عرفتها الأمم الأخرى التي كانت لها نتاج أدبي؛وعرفها العصر الجاهلي كما عرفها العصر الأموي والعصر العباسي، بل كما لا يزال يعرفها عصرنا الحاضر الذي نحبا فيه، وعلى الرغم من وسائل الحضارة الحديثة التي كانت قمينة أن تبرئ نتاجنا من هذه الظواهر لو كان ثمة سبيل إلى الخلاص منها، فشيوع الكتابة شيوعا عاما، وانتشار الطباعة بصورها المتعددة و لم يحول دون أنّ ينسب إلى شاعر شعر لم يقله ولا يدري من أمره شيئا."[3]

[1] – محمد بن سلام الجمحي: **طبقات فحول الشعراء**، مرجع سابق، ص04.

[2] – محمد صايل حمدان: **قضايا النقد القديم والحديث**، دار الأمل للنشر والتوزيع، د.ط، الأردن، 2010، ص09.

[3] –ناصر الدين الأسد: **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، مرجع سابق، ص321.

كما يرى ناصر الدّين الأسد أن هذا الانتحال لم يكن في الشعر فقط بل شمل الأدب عاماً في قوله:"لم يكن الوضع أو النحل أو الانتحال مقصورا على الشعر وحده، بل لقد شمل كل ما يمت إلى الأدب العام بسبب: كالنسب والأخبار منذ الجاهلية نفسها"[1]؛ أي أنّ الشعر الجاهلي كان عرضة للانتحال منذ السنوات الأولى وقبلها.

كما يرجع ابن سلام الجمحي الانتحال في الشعر الجاهلي إلى عاملين:

أولا" عامل القبائل التي كانت تتزيد في شعرها لتزيد في مناقبها."[2]

فالقبائل العربية بعد الإسلام بدأت تتفاخر بأشعارها والقبائل التي ليس لها حظ في الشعر الجاهلي كان شعراؤها يقولون أشعارا ينسبونها إلى شعراء من قبائلهم في الجاهلية لتزيد من مكانتها، وهذا سبب من أسباب الانتحال؛أما العامل الثاني فهو:"الرواة الوضاعين يقول:"فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر أيامها ومآثرها، استغل بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت."[3]

فهو هنا يرى أن الذين يرْوون الشعر هم الذين ينسبونه إلى شعراء الجاهلية.وقد رأى أيضا أن بعض الرواة قد أفسدوا الشعر وهجنوه منهم محمد ابن إسحاق في قوله:"كان من علماء الناس بالسيَّر، لأشعار رجال ونساء لم يقولوا الشعر قط، ثم جاوز الأمر إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعارا كثيرة، وليس بشعر إنما هم كلام مؤلف معقود بقواف"[4]؛ أي أنّ ما ينسب إل عاد وثمود وما سبق قحطان كله منحول ومزيف.

كما أورد ابن سلام أسباب هذا الانتحال لشعر وكثرته المتمثلة في:

---

[1]- ناصر الدين الأسد: **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، مرجع سابق، ص321.

[2]- علي خليفة: **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص66.

[3]- نفس المرجع السابق، **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص 67.

[4]-ينظر: ابن سلام الجمحي: **طبقات فحول الشعراء**، مرجع سابق، ص7-8.

أ-"منها كذب الرواة للتكسب بالرواية.

ب-وضع الشعر على لسان الشعراء الكبار مدحا في الأجداد تملقا لذوي السلطان من المعاصرين طمعا في نبل عطائهم، كما حدث لحماد في تأليفه قصيدة في مدح أبي موسى الأشعري، ونسبتها إلى الحطيئة، طمعا في نوال بلال بن أبي بردة.

ج-انتحال القصائد للتفاخر القبلي.

د-انتحال القصائد لأسباب دينية كما حدث بالنسبة إلى حيان بن ثابت لما تعاضهت قريش واستُّبت، وصفو عليه أشعارا كثيرة لا تنفى.

تلك هي النتائج التي انتهى إليها ابن سلام الجمحي، والأسباب التي ساقها لبيان منشأ الانتحال والتزييف والزيادة في الشعر الجاهلي."[1]

ولم يكن ابن سلام أول من أشار إلى هذه القضية"فقد سبقه إلى ذلك المفضل الضبي والأصمعي وبعض الشعراء، كبشار بن برد، كما أشار إلى هذه القضية ابن هشام صاحب السيرة النبوية، وأشار إلى نقد العلماء له، وكذلك فعل ابن النديم، إلا أن ابن سلام درس هذه القضية دراسة فنية، حاول أن يبين أهم ما يتعلق بهذه القضية."[2]

وهذه القضية لم يهتم بها القدماء من العرب فحسب بل اهتم بها المحدثين من المستشرقين والذين حاولوا الطعن في الشعر الجاهلي ومن هؤلاء:

[1]- عبد الرحمان بدوي: **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي**، بيروت، ط1، دار العلم للملايين، 1979، ص 9-10.

[2]-نجلاء أحمد محمد المالكي: ، **قضية الانتحال في الشعر الجاهلي**، مجلة بحوث كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز، 1440 كلية الآداب ولعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، مملكة العربية السعودية، 2019م، ص776.

"-تيودور نولدْكَه: والذي بدأ بالنظر في هذه القضية سنة 1864 فقد تحدث عن تضارب الروايات واختلاف نصوصها، وعن رواة الشعر الجاهلي، وعن تداخل الشعر بعضه ببعض، بحيث يدخل شعر شاعر في شعر غيره أو ينسب شعر شاعر لغيره.

وليم آلوَرْد: والذي نشر دواوين الشعراء الستة الجاهليين: امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وعلقمة وعنترة فشكك في صحة الشعر الجاهلي عامة؛ منتهيا إلى أن عددا قليلا من قصائد هؤلاء الشعراء يمكن التسليم بصحته، مع ملاحظة أن شكا لا يزال يلازم هذه القصائد الصحيحة في ترتيب أبياتها وألفاظ كل منها، وتابع كثير من المستشرقين آلورد في موقفه الحذر من قبول كل ما يروي للجاهليين: أمثالموبير وباسيه وبروكلمان."[1]

فهؤلاء شككوا في بعض من الشعر الجاهلي، على غرار نقاد آخرين الذين قدموا العديد من الأدلة على بطلان الشعر الجاهلي جملتا ومنهم المستشرق صموئيل مرجليوث"؛ بحيث يعد من أوائل المستشرقين الذين شككوا في صحة الشعر العربي القديم، وأن هذا الشعر الذي بين أيدينا ليس شعرا جاهليا بل هو شعر قيل في العصر الإسلامي، ثم نحَلَه هؤلاء الواضعون المزَّيفون لشعراء جاهلين؛ وعلى الرغم من تأكيد مرجليوث أن الشعر موجود في العصر الجاهلي بدليل ذكره في القرآن الكريم حيث يقول"إن وجود شعراء في بلاد العرب قبل الإسلام أمر شهد به القرآن، إذ أن فيه سورة واحدة باسمهم، ثم يشير إليهم من حين إلى آخر في مواطن أخرى، ومن بين الأوصاف التي كان خصوم النبي ينعتونه بها أنه كان شاعرا مجنونا." إلا أنّه ينكر من جهة أخرى هذا الشعر.

كما شكك في كيفية انتقال هذا الشعر إلينا في قوله:" لو فرضنا أن هذا الشعر حقيقي، فكيف حفظ؟ لابد أنه حفظ إما بالرواية الشفهية وإما بالكتابة؛ ويبدو أن الرأي الأول هو الرأي الذي يذهب إليه المؤلفون العرب، مع أنه ليس بالرأي الذي يجمعون عليه كما سنرى، ويبني شكه على ثلاثة أسباب:

[1]- ينظر: علي خليفة: **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص68.

الأول: إذا كانت قصائد عدة ذات أبيات كثيرة قد حفظت بالرواية الشفهية فلا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا وجد أفراد عملهم أن يحفظوها في ذاكرتهم وينقلوها إل غيرهم، وليس لدينا ما يدعونا إلى الظن بأن حرفة مثل هذه قد وجدت أو أنها بقيت خلال العقود الأولى من الإسلام.

والثاني: ما يذهب إليه المسلمون من أن الإسلام يجب ما قبله وما ورد في القرآن من أن أتباع الشعراء هم الغاوون فحديث القرآن عنهم فيه قسوة عليهم واحتقار لهم، فثمة إذن سبب قوي يدعو إلى نسيان الشعر الجاهلي، إذا كان ثمة شعر جاهلي حقيقة والثالث مرتبط بالثاني وهو: أن الأعمال التي تخلدها عادة هذه القصائد كانت انتصارات القبائل بعضها على بعض، والإسلام الذي كان يرمي إلى توحيد العرب ونجح نجاحا كبيرا في تحقيق تلك الوحدة، كان يحث على نسيان تلك الحوادث والقصائد التي من هذا الضرب تثير النفوس وتهيج الدماء."[1]

إذن مرجليوث يرى أن الدين وبالأخص القرآن له تأثير في صياغة الشعر الجاهلي وفي نفوس الناس. كما أورد مرجليوث في مقالته أن اللغة دليل آخر على عدم وجود الشعر فيلاحظ أنها :"لغة ذات وحدة ظاهرة؛ وهي نفس لغة القرآن الكريم التي أشاعها في العرب؛ ويقول لو أن هذا الشعر صحيح لمثّل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية كما مثل لنا الاختلافات بين لغة لقبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية في الجنوب؛ وآخر أدلة مرجليوث على مزاعمه أن النقوش المكتشفة للممالك الجاهلية المتحضرة وخاصة اليمنية لا تدل على وجود أي نشاط شعري فيها فكيف أتيح لبدو متحضرين أن ينظموا هذا الشعر بينما لم ينظمه من تحظروا من أهل هذه الممالك والتماثل بين لغة القرآن ولغة الشعر تدل على أن ما وصلنا وليد مرحلة لاحقة بعد ظهور الإسلام."[2]

[1]- ينظر: حميد قبايلي، مجلة إشكالات-**قضية الانتحال في القد العربي القديم بين التأصيل والتجديد**، العدد 15، كلية الأدب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عباس، لغرور، خنشلة، 2018/11/17، ص173-174.

[2]- علي خليفة: **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص70.

إذن مرجليوث يؤكد أن الشعر الجاهلي غير موجود في العصر الجاهلي، وأن لديه نسبة من الشك في كيفية انتقاله إلينا والأدلة السابقة والأسباب تدل على أن ما بين أيدينا لا يعود للعصر الجاهلي.

وممن حاولوا الطعن في الشعر الجاهلي من العرب في العصر الحديث نجد طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي يقول: "الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليست في الجاهلية في شيء، إنما هي منحولة بعد الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم، أكثر مما تمثل حياة الجاهلين"[1]، فهو ينفي وجود بعض من الشعر الجاهلي ويرى أن معظمه مختلق من طرف المسلمين.

"وقبله كان من أول من بحث في هذا الموضوع من أدباء العرب المعاصرين مصطفى صادق الرافعي في كتابه تاريخ آداب العرب الذي صدر في سنة 1911 وقد لخص آراءه ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعر الجاهلي."[2]

فقد قام الكثير من الأدباء العرب بالتصدي لهذه القضية وبما أن الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير غير أن ذلك لم يكن غائبا عن القدماء، فقد عرضوه على نقد شديد، وتناوله رواته وعرضوه على نقد داخلي وخارجي دقيق، بحيث نجد أن بعض النقاد قد بالغوا في الشك لدرجة الرفض أي رفض أعمالهم مثل مرجليوث وخاصة طه حسين.

المبحث الرابع: منهج الشك الديكارتي وأسسه.

إن مسألة المنهج ترتبط دائما باسم الفيلسوف الفرنسي رونيه ديكارت، فهو فيلسوف المنهج، وقد بدأ أساس منهجه بعملية الشك، فقد حاول تطبيقه على القضايا الفلسفية بغرض الوصول إلى حقائق يقينية، وللوصول إلى هذه المعرفة اليقينية كان عليه إدراج قواعد أو أسس

[1]-طه حسين: **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص19.

[2]- حميد قبايلي، مجلة الإشكالات: **قضية الانتحال في النقد العربي القديم بين التأصيل والتجديد**، مرجع سابق، ص176.

ينبغي إتباعها وقبل التطرق إلى هذه الأسس الديكارتية ينبغي علينا أن نتوقف أولا على مدلولات الشك.

المطلب الأول: مفهوم الشك.

"يدل في اللغة عل نقيض اليقين، كما يدل على اختلاف النقيضين عند الإنسان وتساويهما والشك ضرب من الجهل، وقولنا شك الشيء شكا أي التصق بعضه ببعض واتصل، وقد انتقل اللفظ من إطاره اللغوي إلى إطاره الفلسفي فلم يبعد كثيراً، حيث إنه التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك؛ وقيل الشك ما استوى طرفاه وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما."[1]

فالشك يستخدم كمقابل لليقين، ويأتي بمعنى التردد كأن يتردد بين شيئين دون أن يتيقن أحدهما.

"ويفرق الأستاذ محمود حمدي زقزوق، بين أصل كلمة الشك في اليونانية، وبين المعنى التي آلت إليه الكلمة فيرى أنه كان لمفهوم الشك أصله اليوناني معنى يختلف اختلافا تاما عن المعنى الذي نفهمه منه اليوم وقد كانت الكلمة اليونانية(اسكبتستاى-) التي اشتق منها مفهوم الشك تعني الفحص بعناية أو الموازنة الناقدة لكن معنى الكلمة قد تغير على مر العصور وبناء على ذلك لم يعد مفهوم الشك يعني أن الشاك هو أحد الباحثين الذين يتخذونه اتجاها نقديا غير مثقل بأحكام مسبقة، وإنما أصبح يعني على خلاف ذلك-أن الشاك هو أحد المفكرين الذين ينكرون إمكان المعرفة سواء كان هذا الإنكار جزئيا أو إنكار كليا شاملا لكل المعارف."[2]

[1]-حسين صبري: **رواد الشك المنهجي**، دار الضياء للنشر والتوزيع، ط1، الإمارات-أبوظبي، 1432ه، 2011م، ص23-24.

[2]-سعد الدين السيد صالح، **قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، الإمارات**، ط1، مطبوعات جامعة الامارات العربية، 1998، ص81.

أي أنّ مفهوم الشاك من الباحثين تغير وأصبح من ناقد لمعرفة ما إلى منكر لهذه المعرفة ومشكك في الحقائق.

بالتالي انحدر معنى الشك من معناه الأصلي إلى هذا التصور السلبي الذي يهدم المعرفة ويشكك في الحقائق من ناحية وجودها إن وجدت عندهم؛ فالشك لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون عقيدة أو مذهبا فما هو إلا ا تجاه يناقض فيه صاحب نفسه، لأن الشك هو نوع من التفكير يستلزم وجود ذات مفكرة يصدر عنها الشك، ومن هنا لزم الاعتراف إثبات شيء ما أيا كان."[1]

فمن يطبق هذا الشك أو النقد الجديد أكيد أنه سوف يطعن في بعض الحقائق حتى لو كانت دينية.

المطلب الثاني: مواقف النقاد من منهج ديكارت وأسسه.

ارتبط منهج الشك بديكارت: "فقد أرسى ديكارت بداياته بعملية الشك ؛فالشك عنده أساس منهجه فقد شك في كل شيء من الحسيات والعقليات ولكنه لم يشك في حقيقة واحدة وهي أنه يشك..، والشك نوع من التفكير، إذن فهو يفكر والتفكير يستلزم وجود الذات المفكرة إذن فهو موجود ومادام موجود فلا بد له من موجد وهو الله تعالى، وبالتالي فالله موجود ومادام الله موجود فالعالم المحسوس موجود ويقيني في الله هو الضامن ليقينية المعارف، لأن الله الكامل هو الذي وضع فينا العقل فهو الضامن لصحة التفكير ومن هنا أباح ديكارت لنفسه بعد شكه المسرف أن يفكر في النفس ويعتبر ما فيها فكرا، وفي الجسم، ويعتبر ماهيته امتدادا وانتهى ديكارت من هذا كله إلى اليقين بوجود العالم الخارجي ومجوداته المادية."[2]

[1]- سعد الدين السيد صالح، **قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، الإمارات**، مرجع سابق، ص108.

[2]- نفس المرجع، ص112.

وقد كان شكه شك منهجي علمي رياضي يقوم بالأساس على العقل "فقد شكك في المعرفة الحسية سواء منها الظاهرة أو الباطنة وكذلك في المعرفة المتأتية من عالم اليقظة وعالم الأحلام على حد سواء، وذهب في شكه إلى حد أنه شكك في قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة، فقد لاحظ أن استدلالات العقل تختلف من شخص إلى آخر حتى فيما يتعلق بالاستدلالات الرياضية."[1]

فهناك من الناس من يخطئ ويقع في المغالطات، وديكارت هنا يحاول الربط بين مجال الرياضيات والفلسفة.

"وهكذا فإن ديكارت لا يعتبر الوجود المادي أول ما يخطر للذهن أو على البال، كما هو الحال مثلا عند أرسطو، وإنما يرى أن كل ما ليس له وجود ذهني أولا، لا وجود له حقيقة، والجدير بالذكر، أن هذا المبدأ الديكارتي(الكوجيتو) أنا أفكر إذن أنا موجود هو بنظر ديكارت القضية اليقينية الأولى، لأنها بديهية صادقة صدق مطلقا، لا تحتمل إلا الصدق، ولذا فإن ديكارت يعتبر الكوجيتو المبدأ الأول الذي تقوم عليه فلسفته كلها."[2]

ولهذا المنهج قواعد اقترحها ديكارت ليهتدي بها العقل في الوصول إلى الحق وهي:"

1-البداهة: "ألا نقبل قط شيئا على أنّه حق من غير أن نكون على بينة من أنه كذلك، أي أن نتجنب العجلة والهوى، وألا نضمن قضايانا من الحكم أكثر مما يتمثل للعقل تمثلا هو من التميز والوضوح بحيث لا يبقى لدينا للشك فيه مجال." فهنا يدعونا ديكارت إلى عدم التعجل في الحكم والتشبث بالأحكام السابقة دون أن نخضعها إلى العقل ففي أغلب الأحيان التسرع يؤدي إلى الخطأ.

[1]-مهدي فضل الله: **فلسفة ديكارت ومنهجه-دراسة تحليلية ونقدية**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت لبنان، ص90.

[2]- نفس المرجع، ص93.

2-التحليل: "أن نجزئ كل مشكلة نمتحنها إلى أكبر ما يمكن أو إلى ما يتطلبه حل المشكلة من الأجزاء." أي تقسيم الحقائق وفق الحدود المسموح بها.

3-التركيب: " أن نسير في تفكيرنا على ترتيب ونظام مبتدئين بأبسط الأشياء وأسهلها معرفة لنرتقي بالتدريج إلى علم أعقدها."أي أن أصعد شيئا فشيئا حتى أصل إلى معرفة أكثر الأمور تركيبا.

4-الإحصاء: "أن نقوم في كل حالة بتعداد هو من الكمال، باستعراض هو من السعة بحيث نكون على ثقة من أننا لم نفلت شيئا."أي الانتباه وعدم الإغفال عن البحث."[1]

من هنا إذن نستنتج أن شك ديكارت كان في كل شيء حتى في وجوده وغايته الوصول إلى الحقيقة لهذا توصل إلى مقولته "أنا أفكر".

[1]- ينظر: مقال، عمرو زاير، **منهج الشك عند طه حسين ومرجعياته**.

الفصل الثاني

البعد الرؤيوي في كتاب الشعر الجاهلي عند طه حسين

المبحث الأول: أهم المفاهيم التي وقف عندها طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي:

درس طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي مسألة الشعر الجاهلي، وقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام تناول في القسم الأول:

1-منهج البحث والحياة الجاهلية واللهجات:

استهل هذا القسم بتمهيد تحدث فيه عن مسألة القديم والجديد قائلا:" بين أيدينا مسألة الشعر الجاهلي نريد أن ندرسها وننتهي فيها إلى الحق...فأما أنصار القديم فالطريق أمامهم واضحة معبدة والأمر عليهم يسير...وأما أنصار الجديد، فالطريق أمامهم معوجة ملتوية."[1]

فهنا نجده يشير إلى مذهبين: مذهب الإيمان؛ الذي يترك كل شيء حيث تركه القدماء ولا يغير منه شيئا ومذهب الشك والاضطراب الذي في رأي طه حسين:" الذي يقلب العلم القديم رأسا على عقب، والذي يخشى إن لم يمحو أكثره أن يمحو منه شيئا كثيرا؛ ويقول أيضا أن نتائجه عظيمة جليلة الخطر فهي إلى الثورة الأدبية أقرب منها إلى أي شيء آخر وحسبك أنهم يشكون فيما كان الناس يرونه يقينا، وقد يجحدون ما أجمع الناس على أنه حق لا شك فيه."[2]

أي أنهم يشكون في كل ما اتفق عليه الناس على أنه حقيقة وتاريخ؛ وفي الأخير انتهى به البحث إلى الشك في قيمة الشعر الجاهلي وأن ما بقي من الشعر الجاهلي قليل ولا يمثل شيئا وذلك في قوله:"أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهلين."[3]

[1]- طه حسين: **في الشعر الجاهلي**، دار المعارف، ط2، سوسة-تونس، 1998، ص15.
[2]- نفس المصدر، ص18.
[3]- نفسه، ص 19.

وهذا يعني أن ما قاله كل من امرئ القيس وعنترة وابن كلثوم وغيرهم من شعراء تلك الفترة من شعر ليس بشعر يعود إليهم إنما هو منتحل ومختلق، وأن مضمون ذلك الشعر يجسد الحياة الدينية والاجتماعية التي بعد الإسلام وليس قبله.

كما يضيف طه حسين: أن قضية انتحال الأدب للقدماء ليست خاصة بالعرب فاليونان والرومان انتحل على أدبائهم الكبار أدب كذبا وزورا ولذا فليس عجيبا أن يتم هذا النحل وينسب أيضا للقدماء الجاهليين؛ وبالطبع نوافق الدكتور طه حسين في أن ظاهرة الانتحال للقدماء بإضافة الأخبار والأشعار والخطب لهم موجودة في كل الأمم القديمة ولا يستثنى العرب منها."[1]

ومع ذالك لا يجوز له تعميم هذا الانتحال على الكل فقد صحح مجموعة من الرواة هذا النحل الذي أحدث خللا في الشعر.

وفي عنصر منهج البحث يبين طه حسين المنهج الذي اصطنعه أو اتبعه وأسس عليه بحثه في الشعر الجاهلي وهو منهج الشك الديكارتي:"بحيث يقول طه حسين الذي تبنى المنهج الديكارتي في دراسة الشعر الجاهلي ليرى إن كان صحيحا في نسبته إلى أصحابه من الجاهليين أم منحولا عليهم"....أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكارت للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث والناس جميعا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج، هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلو تاما، والناس جميعا يعلمون أن هذا المنهج الذي سخط عليه أنصار القديم في الدين والفلسفة، يوم ظهر، قد كان من أخصب المناهج وأقومها وأحسنها أثرا، وأنه جدد العلم والفلسفة تجديدا، وأنه قد غير مذاهب الأدباء في أدبهم والفنانين في فنونهم وأنه هو الطابع الذي يمتاز به هذا العصر الحديث؛فلنصطنع هذا المنهج حين نريد أن نتناول أدبنا العربي القديم وتاريخه بالبحث والاستقصاء."[2]

[1]-علي خليفة: **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص72.

[2]-مهدي فضل الله: **فلسفة ديكارت ومنهجه دراسة تحليلية ونقدية**، مرجع سابق، ص74.

إذن هذا هو المنهج الذي سيصطنعه طه حسين عندما يدرس مسألة الشعر الجاهلي محاولا تطبيق منهج الشك الديكارتي بطريقة ديكارت ومبادئه.

وبعدما تناول منهج البحث يضيف عنصر آخر "وفيه ينتهي طه حسين إلى افتراض أن مرآة الحياة الجاهلية يجب أن تلتمس في القرآن لا في الشعر الجاهلي؛ أي أنه ينبغي أن نستشهد بالقرآن على تفسير هذا الشعر والحياة الجاهلية في قوله:"أن القرآن أصدق مرآة للحياة الجاهلية."فما وجده في القرآن من أخبار وروايات غير ما وجد في الشعر الجاهلي، وهو السبب الذي دفعه إلى الشك في أن هذا الشعر الجاهلي منتحل، وأنه لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهلين وقد فصل القول في جانب من هذه الجوانب:"

أ/–الحياة الدينية: فرأى أن هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهلين يظهر لنا حياة غامضة جافة بريئة أو كالبريئة من الشعور الديني القوي والعاطفة الدينية المتسلطة على النفس والمسيطرة على الحياة العملية...وأما القرآن فيمثل لنا شيء آخر، يمثل لنا حياة دينية قوية تدعو أهلها إلى أن يجادلوا عنها ما وسعهم الجدال، فإذا رأوا أنه قد أصبح قليل الغناء لجأوا إلى الكيد، ثم إلى الاضطهاد، ثم إلى إعلان الحرب التي لا تبقى ولا تذر، إذن القرآن أصدق تمثيلا للحياة الدينية عند العرب من هذا الشعر الجاهلي.

ب/–الحياة العقلية: فيجد في هذا الجدال الديني مما يجعله ينتقل إلى الحياة العقلية والحضارية فيقول: "أفتظن قوما ما يجادلون في هذه الأشياء جدالا يصفه القرآن بالقوة ويشهد لأصحابه بالمهارة، أفتظن هؤلاء القوم من الجهل والغباوة والغلظة والخشونة بحيث يمثلهم لنا هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهلين؟ كلا لم يكونوا جاهلا وأغبياء، ولا غلاظا ولا أصحاب حياة خشنة جافية، وإنما كانوا أصحاب علم وذكاء، وأصحاب عواطف رقيقة وعيش فيه لين ونعمة..."[1]

[1]– ينظر: نصر الدين الأسد: **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، مرجع سابق، ص ص381–382.

فهنا نجده يستغرب في كيف أن شعراء العصر الجاهلي لم يقوموا بتصوير حياتهم الدينية والعقلية التي كانت تتميز بالتضحية والإيمان والجدال القوي الذي بينه القرآن، وكيف بدت كأنها جافة خالية من المشاعر في هذا الشعر الجاهلي.

ج/–الحياة السياسية والاقتصادية: فقد بين طه حسين أنهم كانوا على اتصال سياسي واقتصادي بمن حولهم من الأمم يقول طه حسين: " كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم، بل كانوا على اتصال قوي، قسمهم أحزابا وفرقهم شيعا... أليس القرآن يحدثنا عن الروم وما كان بينهم وبين الفرس من حرب انقسمت فيها العرب إلى حزبين مختلفين: حزب يشايع أولئك وحزب يناصر هؤلاء، لم يكن العرب إذن كما يظن أصحاب هذا الشعر الجاهلي معتزلين فأنت ترى أن القرآن يصف عنايتهم بسياسة الروم والفرس، كما يصف اتصالهم الاقتصادي بغيرهم من الأمم من السورة المعروفة "لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف."[1]

فهنا نجده أيضا يستغرب فكيف أن شعراء العصر الجاهلي أكدوا أنهم كانوا معتزلين عن الأمم الأخرى سياسيا واقتصاديا والقرآن يقول غير ذلك وقد رد على هذا الرأي وجدي في قوله:" أما اتصالهما الاقتصادي أي (نجد والحجاز) بغيرهم من الشعوب فكان على أدنى ما يمكن أن يتصوره العقل، وكل ما في المسألة أن سكان مكة كان لهم رحلتان احدهما في الصيف إلى الشام، والأخرى في الشتاء إلى اليمن، وكان غرضهم من ذلك مبادلة أشياء من محصولاتهم ومصنوعاتهم من محصولات ومصنوعات ذينك القطرين ومثل هاتين الرحلتين لا تسميان اتصالا اقتصاديا."[2]

بالتالي ففكرة طه حسين أن كل ما نقرأه من هذا الشعر المنسوب إلى العصر الجاهلي لا نجد فيه ما يمثل هذه الحياة الاقتصادية والسياسية ولا حياة الدينية والعقلية وهذا ليس مبررا لشكه هذا.

كما يضيف عنصر آخر دفعه إلى الشك في الشعر الجاهلي وهو اللغة "فقد لاحظ طه حسين خلافا واضحا بين لغة الشعر الجاهلي وبين تلك اللهجات المعروفة في شمال الجزيرة وجنوبها، واتفاقا

[1]– ينظر: طه حسين: **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص ص33-34.

[2]– محمد فريد وجدي: **نقد كتاب الشعر الجاهلي**، مؤسسة الهنداوي لتعليم والثقافة، 2012، ص64.

واضحا كذلك بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن، ويتخذ من هذا الخلاف وهذه المشابهة سببا لرفض هذا الشعر والطعن في صحة روايته."[1]

أي أن لغة الشعر الجاهلي كتبت بلغة القرآن وبما أنها كذلك فهي بعيدة كل البعد عن العصر الذي قيل إنها كتبت فيه أي ما قبل الإسلام، وبالنسبة للخلاف حول اللهجات فيقصد به اللهجات التي اتفق عليها الرواة أي العرب العاربة (لغة حمير) والعرب المستعربة (لغة عدنان).

كما يؤكد على اختلاف لغة العرب القحطانية عن لغة العرب العدنانية، اعتمادا على اتفاق الرواة وعلى مقولة منسوبة إلى أبي عمرو بن العلاء: "ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا" وكذلك إلى نقوش ونصوص منسوبة إلى العصر الجاهلي تمكنا من إثبات هذا الخلاف في اللفظ، وفي قواعد النحو والتصريف وأيضا وبناءا على الفرض القائل باختلاف اللغة القحطانية عن العدنانية يرفض المؤلف قصة هجرة إسماعيل عيه السلام وتعلمه العربية من العرب العاربة، :وإذ كيف بَعُدَ ما بين اللغة التي كان يصطنعها العرب العاربة واللغة التي كان يصطنعها العرب المستعربة حتى استطاع أبو عمرو بن العلاء أن يقول :أنهما لغتان متميزتان."[2]

بالتالي نجد طه حسين يرفض إمكانية انتقال اللغة من قبيلة إلى أخرى وخاصة نجده يشكك في أول من تعلم اللغة العربية من العرب المستعربة وهو إسماعيل عليه السلام وهو أمر غير مقبول.

كما يستغرب طه حسين في أمر هؤلاء الشعراء الجاهليين الذين ينسبون إلى قحطان والذين كانت كثرتهم تنزل اليمن وكانت قلتهم من قبائل يقال إنها قحطانية قد هاجرت إلى الشمال، وفي خطب فريق من الكهان والخطباء؛ يضاف إليهم نثر وسجع وكلهم يتخذ لشعره ونثره اللغة الفصحى كما نراه في القرآن"؛ من هنا نلاحظ –حسب رأيه–أنّ الشعر الذي يضاف إلى القحطانية قبل

[1]–منداس القادر: مقال **جدلية الشك في الشعر الجاهلي والتأسيس لمصادره بين طه حسين وناصر الدين الأسد**، جامعة البليدة،– عفرون، ص325.

[2]–مصطفى حسن: مقال، **الشك في منهجية طه حسين حول الشعر الجاهلي**، نشر2017/07/12.

الإسلام ليس من القحطانية في شيء و لم يقله شعرائها وإنّما حمل عليهم بعد الإسلام فهي مصطنعة لسبب ديني أو سياسي.

وفي آخر هذا العنصر أو العامل الذي دفعه إلى الشك في الشعر الجاهلي نجد طه حسين يشك في نسب الشعراء الجاهلية بسبب اللغة التي كان يتكلمها كل من العرب القحطانية والعدنانية وذلك في قوله: " أنّ الصلة بين اللغة العربية الفصحى التي كانت تتكلمها العدنانية والتي كانت تتكلمها القحطانية، إنما هي كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السامية، وإن قصة العاربة والمستعربة وتعلم إسماعيل من جرهم كل ذلك حديث لأساطير لا خطر له ولا غثاء فيه."[1]

فهو يعتقد بأنه لا يوجد من هؤلاء الشعراء الجاهلين قوما ينتسبون إلى اليمن وخاصة أن لغتهم غير لغة القرآن بالتالي فهو لا يمثل اللغة الجاهلية ولا الشعر الجاهلي.

بعد انتهائه من عامل اللغة والشعر الجاهلي يضيف عنصر آخر وهو الشعر الجاهلي واللهجات بحيث لم يقتصر شك طه حسين على الشك في لغة القحطانيين بل تجاوز ذلك إلى الشك في لهجات العرب وخاصة العدنانية ويؤكد هذا علي خليفة:" السبب الثالث الذي يذكره طه حسين مشككا في صحة ما وصلنا من الشعر الجاهلي هو قوله بأنه لا يوجد في الشعر الذي وصلنا منسوبا للعصر الجاهلي ما يدل على اختلاف اللهجات التي كانت منتشرة آنذاك بين القبائل العربية في جزيرة العرب، يقول طه حسين في ذلك: كل شيء وفي هذه المطولات(يقصد القصائد الطويلة)يدل على أن اختلاف القبائل لم يؤثر في شعر الشعراء تأثيرا ما فنحن بين اثنين إما أن نؤمن بأنه لم يكن هناك اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان في اللغة ولا في اللهجة ولا في المذهب الكلامي، وإما أن نعترف بأن هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل وإنما حمل عليها بعد الإسلام حملا، ونحن إلى الثانية أميل هنا من الأولى."[2]

[1]-طه حسين: **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص41.

[2]-علي خليفة: **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص78.

إذن فهو من جهة لا ينكر هذا الاختلاف بين اللهجات في الشعر الجاهلي ومن جهة إذا كان ن عكس ذلك فلما برأيه؛ "حين تقرأ هذه القصائد السبع لا تشعر بشيء يشبه أن يكون اختلافا في اللهجة أو تباعدا في اللغة، البحر العروضي هو هو، وقواعد القافية هي هي، والألفاظ مستعملة في معانيها كما نجدها عند شعراء المسلمين والمذهب الشعري هو هو."[1]

وقوله نحن بين الاثنين فهو لا يلزمنا بوجوب أخذ إحداهما دون الأخرى بل يقنعنا بالأخذ بأنه منحول وذلك من خلال استغرابه فيكيف استقامت وتباينت تلك الأوزان مع أن اللغات واللهجات اختلفت بين القبائل؛ أي كيف استطاعت أن تأخذ بأدب جديد غير أدبها بلغة مختلفة.

كما يستغرب طه حسين في ذلك التباين والاختلاف في اللهجات واللغة الأدبية بين القبائل المختلفة وذلك في قوله:" أن الذي أتى بلغة واحدة ولهجة واحدة هي لغة قريش ولهجتها لم يكد يتناولها القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته وتعددت اللهجات فيه وتباينت تباينا كثيرا. إذ أن هذه اللهجات أمالت حيث لم تكن تميل قريش ومدت حيث لم تكن تمد وقصرت حيث لم تكن تقصر، وأدغمت وأخفت ونقلت حيث لم تكن تدغم ولا تخفي ولا تنقل، وهذا النوع من اختلاف اللهجات له أثره الطبيعي اللازم في الشعر وأوزانه وتقاطيعه وبحوره وقوافيه بشكل عام."[2]

أي أن الاختلاف يكمن في موسيقى الكلام؛ فبما أن القبائل كانت غير متحدة اللغة ولا اللهجة قبل الإسلام إذن فإن شعر هذه القبائل الشمالية منحول لأنه ذو لغة واحدة وأوزان مشتركة؛"ومع ذلك "وإن كان القرآن في نقله إلى القبائل الأخرى قد تبدلت وتعددت قراءاته للدرجة التي يؤثر بها على موسيقى الكلام، فلما يرفض اختلاف أوزان الشعر وموسيقاه وقوافيه عندما انتقل من القبائل إلى رواة عرب قرشيين رووه بلهجتهم وقراءاتهم المختلفة التي لا تتبع لسان هذه القبائل، وخاصة أن كتابة الشعر الجاهلي وتدوينه أتى في عصر لاحق للخلافة الراشدة، وغالبا في العصر الأموي."[3]

[1]-ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص 45.

[2]- نفس المصدر، ص46.

[3]- مصطفى حسن: **مقال، الشك في منهجية طه حسين حول الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، نشر في2017/07/12.

بالتالي ما يؤكده طه حسين أن هؤلاء الشعراء قد عدلوا في لغتهم الأدبية كل ما تتميز به لغتهم ولهجتهم الخاصة وغيروها إلى لغة القرآن.

"وفيما يتعلق بقضية الاستشهاد بالشعر الجاهلي على ألفاظ القرآن الكريم والحديث: يرى أن العلماء وأهل اللغة قد اتخذوا الشعر الجاهلي مادة ثرة للاستشهاد على ألفاظ القرآن والحديث وما شابه، والعجيب في الأمر أنهم لم يجدوا في ذلك عسرا ولا مشقة وكأن هذا الشعر قُدَ على القرآن والحديث مثلما يَقُد الثوب على لابسه..وهذا يستدعي الدقة وهذه الدقة تدعونا إلى الشك والحيرة..."وهنا قد نرى ما يراه، بيد أن هذا الأمر ليس بهذا السوء الذي يصوره لنا وكأن جل الشعر الجاهلي قد وُضع وضعا لا لشيء إلا لخدمة الظواهر اللغوية المستعصية والقواعد النحوية التي كانت."[1]

وأيضا من الدوافع التي جعلته يشك في الشعر الجاهلي الرواية الشفوية وهي" آخر الأمور التي لحظها طه حسين في الشعر الجاهلي وبعثت في نفسه الشك والريبة ودفعته إلى أنه منحول، فهو أنه لم يصلنا إلا عن طريق الرواية الشفوية في قوله: وحسبي أن شعر بن أبي الصلة لم يصل إلينا إلا من طريق الرواية والحفظ لأشك في صحته، كما شككت في شعر امرئ القيس والأعشى وزهير."[2]

وكخاتمة لجل ما ذكره في هذا الفصل يقول:" من الحق علينا لأنفسنا وللعلم أن نسأل: أليس هذا الشعر الجاهلي الذي ثبت أنه لا يمثل حياة العرب الجاهليين ولا عقليتهم ولا ديانتهم ولا حضاراتهم، بل لا يمثل لغتهم، أليس هذا الشعر قد وضع وضعا وحمل على أصحابه حملا بعد الإسلام، أما أنا فلا أكاد أشك الآن في هذا."[3]

[1]-ينظر: يحي ولي فتاح حيدر، مجلة الآداب، **نظرية الشك بين استشراقيه مرجليوث واستغرابية طه حسين**، العدد106، جامعة بغداد، 2013، ص172.

[2]-ناصر الدين الأسد: مصادر **الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، مرجع سابق، ص386.

[3]-علي خليفة: **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص79.

إذا لا يزال طه حسين يشك في أن الشعر الجاهلي لا يمثل البيئة السياسية والدينية والعقلية والحضارية.

2-أسباب انتحال الشعر:

أما في القسم الثاني من هذا الكتاب فقد تناول فيه الأسباب التي دعت إلى نحل الشعر الجاهلي وحصرها في الدوافع السياسية والدين والقصص والشعوبية وعمل الرواة وقبل أن يتناول هذه الأسباب تحدث أولا عن الانتحال عند غير العرب تحت عنوان ليس الانتحال مقصورا على العرب؛وفيه يقول طه حسين": أن هذه الظاهرة الأدبية التي نريد أن ندرسها في هذا الكتاب والتي يجزع لها أنصار القديم جزعا شديدا وهي انتحال الشعر ليست مقصورة على الأمة العربية، وإنما تتجاوزها إلى غيرها من الأمم القديمة، وخاصة اليونانية والرومانية، وقد انخدع الناس بما حمل على قدمائها من الشعر حتى كان العصر الحديث واستطاع النقاد أن يردوا الأشياء إلى أصولها، ومنشأ هذه الحركة النقدية، إنما هو تأثر الباحثين بمذهب ديكارت الفلسفي."[1]

فهنا يرى أن هذا الانتحال ليس مقصورا على العرب فقط بل أيضا ظهر هذا الانتحال في الأمة اليونانية والرومانية القديمة والفرق بينهما أن هذه الأمم القديمة في العصر الحديث استطاعت تصحيح هذه الظاهرة وكشف المنتحل من غير المنتحل وذلك من خلال منهج ديكارت هذا؛ لذلك على الباحث أن يدرس تاريخ هذه الأمم حتى يفهم تاريخ العرب وآدابها.

"ثم أخذ المؤلف يذكر الأمة اليونانية والأمة الرومانية ويعقد بينهما وبين الأمة العربية ما يشبه المقارنة، وهو أن كلا من هذه الأمم تحضرت بعد بداوة وخضع في حياته الداخلية لصروف سياسية مختلفة، وانتهى إلى نوع من التكوين السياسي دفعه إلى تجاوز حدود الطبيعة وبسط سلطانه على

[1]- ينظر: طه حسين: **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص ص56-57.

الأرض، ثم قال في ص44"وفي الحق أن التفكير الهادئ في حياة هذه الأمم الثلاث ينتهي بنا إلى نتائج متشابهة إن لم نقل متحدة."[1]

وهنا نوافق طه حسين في أن الأمة العربية قد تحضرت بعد بداوة وتأثرت بمؤثرات مختلفة فقد أجمع العلماء" بأنها تحضرت بعد بداوة وأثرت في غيرها وتجاوزت حدودها الطبيعية ففتحت سورية وشمال إفريقيا، وفارس، وما وراء النهر إلى حدود الصين، وفتحت من أوروبا اسبانيا والبرتغال، وأفاضوا فيما تأثرت به من العوامل السياسية والاجتماعية والعلمية."[2]

غير أن دراستنا لتاريخ هذه الأمم الغريبة عنا لا يغير من تاريخ العرب.

كما يرى طه حسين أيضا أن "الذين كتبوا في تاريخ العرب إنما نظروا إلى هذه الأمة العربية كأنها أمة فذة لم تعرف أحد و لم يعرفها و لم تشبه أحد، و لم تأثر في أحد و لم يؤثر فيها أحد، قبل قيام الحضارة العربية وانبساط سلطانها على العالم القديم."[3]

وقد رد على هذا الرأي محمد وجدي قائلا: إذ كان يقصد الذين تكلموا في تاريخ العرب قبل الإسلام، فإن مؤرخي العرب أنفسهم ذكروا عن تحضرها ومدنيتها أمورا تكاد تكون خيالية؛ حتى قالو: أن إرم ذات العماد كانت مبنية بالذهب والفضة ولمدينتها سور مرصع بالصفائح الذهب."[4]

إذن نلحظ أن طه حسين متناقض في أفكاره فتارة يجزم بتطور الأمة العربية وتارة يأتي بأقوال غير ذلك مشككا في صحتها.

[1]- محمد خضر حسين: **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، د.ت، ص129.

[2]- ينظر: فريد وجدي، **نقد كتاب الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص95.

[3]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص54.

[4]- ينظر: محمد وجدي، **نقد كتاب الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص95.

كما أنه يحاول إقناعنا بإلزامية اصطناع منهج ديكارت في نقد أدبنا كما تأثر به الغرب وذلك في قوله: "سواء رضينا أم كرهنا فلا بد من أن نتأثر بهذا المنهج في بحثنا العلمي والأدبي كما تأثر به أهل الغرب."[1]

وفي الأخير يحاول إقناعنا بالإلمام بالكتب الفرنسية التي تحمل تاريخ الآداب اليونانية أو اللاتينية وأن نسأل أنفسنا بعد هذا الإلمام: "أحق ما كان يعتقد القدماء في شأن الإلياذة ولأوديسا؟ أحق ما كانوا يتحدثون به بل ما كانوا يؤمنون به في شأن هوميروس وهيريودوس وغيرهم من الشعراء القصصين؟ وأن نتساءل فيما يتخذونه أساسا لسياستهم وعلمهم وأدبهم وحياتهم كلها من أخبار".[2]

إذن طه حسين هنا يحاول أنّ يؤكد أن كل هذه الأساطير والشخصيات مشكوك فيها ولا فرق بينها وبين ما يكتبه مؤرخو الأدب العربي بالتالي فهي منتحلة.

وبعدما انتهى من عنصر السابق ليس الانتحال مقصورا على العرب تناول أول سبب من أسباب انتحال الشعر، تحت عنوان السياسة وانتحال الشعر؛ "ويقصد بها العصبية التي كانت تدفع القبائل بعد الإسلام للتعصب لنفسها، فيقوم شعرائها بنحل الشعر لجدودهم الذين عاشوا في الجاهلية، ويتحدثون بلسانهم عن أمجادهم، والتهوين من شأن منافسيهم من القبائل الأخرى، يقول طه حسين:"مؤرخ الآداب مضطر حين يقرأ الشعر الذي يسمى جاهليا أن يشك في صحته كلما رأى شيئا من شأنه تقوية العصبية أو تأييد فريق من العرب على فريق، ويجب أن يشتد هذا الشك كلما كانت قبيلة أو العصبية التي يؤيدها هذا الشعر قبيلة أو عصبية قد لعبت-كما يقولون دورا في الحياة السياسية."[3]

[1]-طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص57.

[2]-نفس المرجع، ص58.

[3]-علي خليفة، **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص81.

وهنا نجد طه حسين يمزج بين عنصرين السياسة والدين الذين يحملون العصبية فالخلاف الذي كان بين المسلمين وقريش أي الجدال والعصبية التي كانت بينهم جعلت الوضع يصبح سياسيا ؛بالتالي وجود هذه العصبية دليل على انتحال الشعر الجاهلي في رأيه.

"ويورد لإثبات رأيه، روايتين، الأولى:ما يروى من أن الخليفة عمر بن الخطاب(رض)نهى عن رواية الشعر الذي يتهاجى بها المسلمون والمشركون أيام الدعوة النبوية ويتخذ من هذه الرواية دليلا قاطعا، فيقول":هذه الرواية نفسها تثبت رواية أخرى وهي أن قريشا والأنصار تذاكروا ما كان قد هجا به بعضهم بعضا أيام النبي وكانوا حراسا على روايته، ويجدون في ذلك من اللذة والشماتة مالا يشعر به إلا صاحب العصبية القوية إذا وتر أو انتصر؛ وتأّكيدا لهذه الرواية يشير إلى ما أمر به الخليفة عمر بن الخطاب(رض)":قد كنت نهيتكم عن رواية هذا الشعر لأنه يوقظ الضغائن، فأما إذا أبوا فاكتبوه"؛ ويذهب طه حسين أبعد من هذا قائلا:"وسواء أقال عمر هذا أم لم يقله فقد كان الأنصار يكتبون هجاءهم لقريش على ألا يضيع."[1]

وهنا قد نوافق طه حسين فيما قاله وقد ندخل معه في دوامة الشك فيما أخذه من الوثائق التاريخية الصحيحة التي أدعم بها نظريته، لكن إذا سلمنا بما قاله هنا فنحن نعمم هذه العصبية والهجاء على الكل من الأنصار وأهل مكة وهذا ليس مبرر كامل أي لا يمكن أن يشمل كل الشعراء.والرواية الثانية؛:"ما ذكر من أن ابن سلام قال: وقد نظرت قريش فإذا حظها من الشعر قليل في الجاهلية، فاستكثرت منه في الإسلام؛وعقب عليه الدكتور بقوله:"وليس من شك عندي في أنها استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذي يهجى به الأنصار."[2]

فهنا نجده يستشهد برأي ابن سلام الجمحي الذي رأى أن هذا الهجاء كان أكثره بعد الإسلام وليس قبله أي أنه منتحل.

[1]-يحي ولي حيدر، مجلة الآداب، **نظرية الشك بين استشراقية مرجليوث واستغرابية طه حسين**، ص175.

[2]- ناصر الدين الأسد: **مصادر الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص388.

إذن نرى أن طه حسين يرى أن معظم الشعر الجاهلي ضاع بسبب عدم تدوينه وبعد قتل كثير من رواته في الحروب يقول في ذلك: "فبعد ما قتل عمر وانتهت الخلافة بعد المشقة إلى عثمان، تقدمت الفكرة السياسية التي كانت تشغل أبا سفيان خطوة خطوة، فاشتدت العصبية بين قريش والعرب، وبعد مقتل عثمان وافتراق المسلمين وانتهاء الأمر كله إلى بني أمية بعد تلك الفتن والحروب؛ في ذلك الوقت تغيرت وفشلت خطة عمر التي كان يختطها عمر، وهي منع العرب أن يتذاكروا ما كان بينهم من الضغائن قبل الإسلام."[1]

إذن العرب عادوا إلى عصبيتهم القديمة من تنافس بين الشعراء وهجاء وتفاخر وأن هذه العصبية التي كانت بين قريش والأنصار المسلمين قد أثرت على الشعر والشعراء.

وفي الأخير ينتهي بنا إلى نتيجة يعتقد أنها لا تقبل الشك:"وهي أن العصبية وما يتصل بها من المنافع السياسية قد كانت من أهم الأسباب التي حملت العرب على انتحال الشعر وإضافته إلى الجاهليين."[2]

كما لم يكن العامل الديني أقل أثرا في نحل الشعر وإضافته إلى الجاهليين، وقد تطرق طه حسين إلى هذا العامل تحت عنوان الدين وانتحال الشعر وذلك في قوله:" لم تكن العواطف والمنافع الدينية أقل من العواطف والمنافع السياسية أثرا في تكلف الشعر وانتحاله وإضافته إلى الجاهليين؛ لا نقول في العصور المتأخرة وحدها، بل فيها وفي العصر الأموي أيضا وربما ارتقى عصر الانتحال المتأثر بالدين إلى أيام الخلفاء الراشدين أيضا."[3]

ففي رأيه أن الدين كان له أكبر تأثير على الشعر من السياسة من خلال تعظيم شأن النبي والديانة الإسلامية.

[1]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص ص66-67.
[2]- ينظر: نفس المرجع ، ص79.
[3]- ينظر: نفسه، ص81.

ويوضح مقصده بالدوافع الدينية للانتحال بقوله:"فكان هذا الانتحال في بعض أطواره يقصد به إلى إثبات صحة النبوة وصدق النبي وكان هذا النوع موجها إلى دعامة الناس، وأنت تستطيع أن تحمل على هذا كل ما يروى من هذا الشعر الذي قيل في الجاهلية ممهدا لبعثة النبي وكل ما يتصل به من هذه الأخبار والأساطير التي تروى لتقنع العامة بأن علماء العرب وكهانهم، وأحبار اليهود ورهبان النصارى كانوا ينتظرون بعثة نبي يخرج من قريش أو مكة."[1]

وفي رأي أجده هنا بالغ كثيرا في شكه هذا لأنه يتكلم بالسوء عن الإسلام وخاصة النبي الذي رفع الله من شأنه فهو هنا إذن يجني على الإسلام وعلى نفسه؛ فكأنه يحاول تضليلنا ويشوه الحق، ومن خلال هذا لا أظن أن طه حسين يتبع منهج ديكارت، وقد رد عليه الناقد شكيب أرسلان في قوله:"إني أرى أجحد متفلسف لمذهب ديكارت هو طه حسين الذي ما زاد على أن ألقى شبهات وأورد خوانس ثم لم ينته منها إلا حيرة عمياء ليست في شيء من مذهب ديكارت."[2]

والقاعدة الديكارتية تقول أنّ لا نقول عن شيء إنه حق إلا إذا قام البرهان على أنه كذلك، وبرهان طه حسين الذي قصد به إثبات صحة النبوة باطل.

"ويضيف لونا آخر من الشعر المنحول الذي لم يضف إلى الجاهليين من عرب الإنس، وإنما أضيف إلى الجاهليين من عرب الجن؛ والغرض من هذا النحل-فيما نرجح-إنما هو إرضاء حاجات العامة الذين يريدون المعجزة في كل شيء ولا يكرهون أن يقال لهم: إن من دلائل صدق النبي في رسالته أنه كان منتظرا قبل أن يجئ بدهر طويل، تحدثت بهذا الانتظار شياطين الجن والكهان الإنس."[3]

[1]-علي خليفة، **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ص81-82.

[2]- الأمير شكيب أرسلان، **الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبة**، تحقيق محمد عبدة، ص92

[3]-ناصر الدين الأسد: **مصادر الشعر الجاهلي وقيمته التاريخية**، مصدر سابق، ص390.

وهنا يقصد أن هناك أمة غير الإنس وأنها كانت تخضع وتحس وتتوقع وتقول الشعر، وأنهم السبب أو الدافع لهذا الشك؛ وهي الأمة الإنسية، وأن هؤلاء اتخذوا الجن أداة من أدوات هذا الانتحال.

"وكذلك يذكر طه حسين ما قام به رجال بعض الفرق الإسلامية من نحل أبيات لشعراء جاهليين ليؤكدوا مبدأ من مبادئهم أو لينقضوا حجة من حجج بعض خصومهم، يقول في هذا:"فالمعتزلة يثبتون مذاهبهم بشعر العرب الجاهليين، وغير المعتزلة من أصحاب المقالات ينقضون أراء المعتزلة معتمدين على شعر الجاهليين."[1]

ويقصد بذلك أنه كانت هناك خصومات بين العلماء في تفسير القرآن بين فرقتين، وأنه حتى تنتصر فرقة على أخرى، كان عليها الاستشهاد بالشعر الجاهلي أي بما قالته العرب قبل نزول القرآن، وهو نوع جديد من الانتحال في رأيه؛ ويرد على رأي طه حسين محمد فريد وجدي في قوله:" أن ما قاله طه حسين عن وضع الوضاعين للأشعار ونسبتها للجاهليين لإثبات عربية ألفاظ القرآن، وللانتصار على الخصوم في فهم معاني القرآن، فهذا كله صحيح ولكنه لم يجرؤ عليه إلا أهل البهتان من المشتغلين بالقرآن."[2]

وكذلك تحدث طه حسين عما قاله العلماء عن بعض الأفراد قبل الإسلام، والذين كانوا متمسكين بدين إبراهيم يقول:" وهؤلاء الأفراد يتحدثون فنجد من أحاديثهم ما يشبه الإسلام، وتأويل ذلك يسير، فهم أتباع إبراهيم، ودين إبراهيم هو الإسلام وأحاديث هؤلاء الناس قد وضعت لهم وحملت عليهم حملا بعد الإسلام ولاشيء إلا ليثبت أن للإسلام في بلاد العرب قدمه وسابقة."[3]

فيرى أن دين إبراهيم بما أنه يحمل أحاديث الإسلام فهو منتحل، والمعروف أن دين إبراهيم قبل ظهور الإسلام، وبالنسبة لغرابته هذه في أن الدين ليس له قدمه ولا سابقة فهو مخطئ فالقرآن يحدثنا

[1]-علي خليفة: **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص82.

[2]-محمد فريد وجدي: **نقد كتاب الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص155.

[3]-ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص93.

بغير ذلك؛و"الإسلام ليس بجديد حتى يُترَدَدَ في قبوله بل هو الأصل الأقدم الذي أمرت بالأخذ به الأمم كافة فانحرفوا عنه بغيا بينهم؛قال تعالى:"شرع لكم من الدين ما وصىً به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب."[1]الشورة-13-

إذن فهو ينكر أثر دين إبراهيم عليه السلام وأثر وجوده أو هجرته إلى مكة من خلال فكرته هذه مع أن القرآن يحدثنا كثيرا عن وجود هذه الأديان السماوية التي تشترك في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته بالتالي فهو يرى أن كل شعر أو خبر أو حديث يضاف إلى الجاهلين ويكون بينه وبين آية من القرآن شبه قوي أو ضعيف فهو مصنوع ومختلق وهذا غير جائز.

كما تحدث عن المسيحية واليهودية فيقول:" ليس من المعقول أن ينتشر هذان الدينان في البلاد العربية دون أن يكون لهما أثرا ظاهرا في الشعر العربي قبل الإسلام، وقد رأيت أن العصبية حملت العرب على أن ينحلوا الشعر، فالأمر كذلك في اليهود والنصارى: تعصبوا لأسلافهم من الجاهليين وأبو إلا أن يكون لهم شعر كشعر غيرهم من الوثنيين، فنحلوا كما نحل غيرهم ونظموا شعرا أضافوه إلى السمو أل ابن عاد ياء وإلى عدى بن زيد وغيرهما من شعراء اليهود والنصارى."[2]

بالتالي هذا الانتحال عند طه حسين لم يقتصر أو يوجد عند العرب فقط بل كذلك عند اليهود والنصارى.

ومن الأسباب التي أضافها طه حسين لنحل الشعر القصص حيث يقول علي خليفة: «يذكر طه حسين دافعا آخر لنحل الشعر على الجاهلين، وهو ما قام به القصاص من تأليف قصص بها أشعار نسبوها للجاهليين، يقول في ذلك:"كثرة هذا الشعر الذي احتاج إليه القصاص لتزداد به قصصهم من

[1]- محمد فريد وجدي، **نقد كتاب الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص159.

[2]- ناصر الدين الأسد، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمته التاريخية**، مرجع سابق، ص291-292.

ناحية، وليصيغها القراء والسامعون من ناحية أخرى خدعت فريقا من العلماء، فقبلوها على أنها صدرت عن العرب حقا."[1]

أي أن هذا الانتحال انتقل حتى في القصص من خلال صياغته بطرق مختلفة مخادعة وخبيثة.

كما يشك طه حسين في أن هؤلاء القصاص:"لم يكونوا يستقلون بقصصهم ولا بما يحتاجون إليه من الشعر في هذا القصص، إنما كانوا يستعينون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار ويلفقونها، وآخرون ينظمون لهم القصائد وينسقونها ثم بين لنا نص يدل على هذا الافتراض وهو قول ابن سلام أن ابن إسحاق كان يعتذر عما كان يروى من غثاء الشعر فيقول: لا علم لي بالشعر إنما أوتيً به فأحمله، فقد كان هناك قوم إذن يأتون بالشعر وكما هو يحمله، فمن هؤلاء القوم في رأيه."[2]

فهنا طه حسين يزعم أن اعتذار ابن إسحاق يعتبر حجة لشكه هذا بقصاص الملفقين وقد رد عليه محمد أحمد الغمراوي في كتابه في الأدب الجاهلي قائلا:"أن ما رواه ابن سلام من أن ابن إسحاق كان يعتذر عن غثاء الشعر الذي كان يرويه بقوله:"لا علم لي بالشعر إنما أتي به فأحمله"مع أن هذا النص إن كفى وحده لأن يبني عليه ينقض ما ذهب إليه صاحب الكتاب من استعانة القصاص بالملفقين إذ ليس هذا الاعتذار من ابن إسحاق صاحب السيرة اعتذار ملفق إنما هو اعتذار جاهل بالشعر يعتذر بجهله عما وقع فيه من عدم تمييز الصحيح من المنحول في الشعر الذي كان يرويه"[3]؛ فهو يحاول الطعن في صدق سيرة ابن إسحاق والتشكيك فيها.

إذن نجد طه حسين هنا يحاول أن يجعل من القصص دورا كبيرا وسببا من أسباب هذا الانتحال معتمدا في ذالك على أراء النقاد القدماء المشككين في بعض الشعر الجاهلي الذي يقوله القصاص؛ كما بين طه حسين أن القصص"قد استمد قوته من مصادر مختلفة أهمها أربعة:

---

[1]-علي خليفة، **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ص84-83.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص107.

[3]- محمد أحمد الغمراوي، **النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي**، المطبعة السلفية ومكتبتها، 1347ه-1929م، القاهرة، ص245.

الأول: مصدر عربي وهو القرآن، وما كان يتصل به من الأحاديث والروايات ومن أخبار وأساطير، وما كان يتحدث به الرواة من سيرة النبي والخلفاء وغزواتهم وفتوحاتهم.

والثاني: مصدر يهودي ونصراني: وهو ما كان يأخذه القصاص عن أهل الكتاب من أخبار الأنبياء والأحبار والرهبان وما يتصل بذلك.

الثالث: مصدر فارسي: وهو ما كان يأخذه القصاص من أخبار وأساطير العراق والفرس والهند.

الرابع: مصدر مختلط: وهو هذا الذي يمثل النفسية العامة غير العربية من أهل العراق والجزيرة والشام من الأنباط والسريان ومن إليهم من هؤلاء الأخلاط.

مبينا أيضا أن القصص العربي لا قيمة له دون الشعر، فقد كان القصاص أيام بني أمية وبني العباس في حاجة إلى مقادير لا حد لها من الشعر يُزينون بها قصصهم وأن هذا الشعر يستحيل أن يكون قد صدر عن الذين ينسب إليهم، فقد فطن بعض العلماء إلى ما في هذا الشعر من تكلف."

إذن نجده هنا يعلل سبب هذا الانتحال إلى تلك المصادر وأهم حكاياتها ولا أظنه أصاب في هذا التعليل لأن هذه المصادر كانت غريبة وبعيدة كل البعد عن المجتمع الإسلامي في لغته وفصاحته فكيف أخذوا أو أضافوا شعر عن شعر وهم مختلفين في اللغة وفي العادات والحكايات؛وكعادته في التضليل، فهو يعد قصة (ألف ليلة وليلة) من القصص العربية في قوله:"وأنت تعلم أن القصص العربي لا قيمة له ولا خطر في نفس سامعيه إذا لم يزينه الشعر من حين إلى حين ويكفي أن تنظر في (ألف ليلة وليلة) وفي قصة (عنترة وما يشابهها)، فسترى أن هذه القصص لا تستطيع أن تستغني عن الشعر؛فهو هنا يرى أن ألف ليلة وليلة عربية الأصل وهذا غير صائب وقد أكد العديد من العلماء ذلك ومنهم شوقي ضيف يقول":وظل الاتجاه إلى ترجمة بعض القصص الفارسية قائما وكان أهم ما ترجم في هذا العصر حكايات ألف ليلة وليلة وفارسية، واسمه بالفارسية (هزار أفسان) أي: ألف حكاية".

إذن ألف ليلة وليلة فارسية، وليست عربية، ونرى أنها من أشد القصص التي ظلمت العرب فنتج عنها صورة نمطية للعربي، وهو محاط بالغانيات والعاريات وكوس الخمر."[1]

[1]- ينظر: يوسف طارق السامرائي: مجلة، **طه حسين وقضية النحل تناقض ومرويات**، العدد الثامن عشر، كلية الإمام الأعظم، 1435ه-2014، ص506.

كما أنه لا يتوقف على جعل هذه القصة عربية الأصل بل تجاوز ذالك إلى أمر أسوء وهو الخلط بين القرآن والإلياذة والقصص ووصفها في وصف واحد ويؤكد ذالك في قوله:"فبينما كان اليونان يقيسون الإلياذة والأوديسا ويعنون بجمعهما وترتيبهما وروايتهما وإذاعتهما عناية المسلمين بالقرآن.كان المسلمون مشغولين بالقرآن وعلومه عن قصصهم هذا"؛ وبعبارة أخرى أن القرآن كالإلياذة من حيث العناية لدى الإغريق العرب وأن المسلمون عنوا بقرآنهم مثل عناية اليونان بإلياذتهم"[1]

وهذا الرأي باطل فكيف يستطيع أن لا يفرق بين القرآن الذي هو عقيدة ودين وبين الإلياذة والأوديسا والتي هي عبارة عن شعر قصصي خيالي لا فائدة منه مقارنة مع القرآن الكريم.

وآخر ما يورده طه حسين في هذا الفصل من القصص أن"كل ما يروى عن عاد وثمود وطسم وجديس، وجُرهم والعماليق موضوع لا أصل له، وكل ما يروى عن تبع وحمير وشعراء اليمن في العصور القديمة وأخبار الكهان، وما يتصل بسيل العرم وتفرق العرب بعده موضوع لا أصل له؛ وكل ما يروى من هذه الأخبار التي تتصل بما كان بين العرب وبالأمم الأجنبية من العلاقات قبل الإسلام كعلاقاتهم بالفرس واليهود والحبشة خليق أن يكون موضوعا، وكثرته المطلقة موضوعة من غير شك."[2]

إذن طه حسين من خلال كلامه نرى أنه يطعن وينفي وجودية أيام العرب وتاريخ العرب الإسلامية من شعر وخصومات وحروب ومن حتى علاقاتها بالأمم الأخرى وهذا كله حتى يبين نظريته وهي أن الشعر الجاهلي منتحل وأن تلك القصص كانت سببا من أسباب هذا النحل.

وبعدما ينتهي طه حسين من عامل القصص يضيف أيضا سبب آخر من أسباب التي أثرت الشعر الجاهلي وهو الشعوبية بحيث يرى في ذالك:"أن هؤلاء الشعوبية قد انتحلوا أخبارا وأشعارا

[1]- ينظر: الشهاب الراصد، **نقد كتاب الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص236.

[2]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص ص116-117.

كثيرة وأضافوها إلى الجاهلين الإسلاميين، و لم يقف أمرهم عند انتحال الأخبار والأشعار، بل هم قد اضطروا وخصومهم ومناظريهم إلى الانتحال والإسراف فيه."[1]

أي أن هؤلاء الشعوبية لم يكونوا الوحيدين فقط في نحل هذا الشعر، بل أيضا العرب قاموا بعملية الانتحال للرد عليهم؛ أي على الشعوبيين من الموالى الفرس، فبما أن الشعوبيين كانوا يحقدون على العرب، فمن الطبيعي أن يحاولوا أن ينتقموا منهم من خلال شعرهم والتقليل من شأنه وبالنسبة للعرب حتى يرفعوا من شأنهم كان عليهم أن ينحلوا أخبار ويختلقوها اضطرارا.

"ونوافق الدكتور طه حسين في حديثه عن دور الشعوبية في محاولة تشويه تاريخ العرب في نحلهم أخبارا وأشعارا لهم تصف عادات سيئة عندهم وتبالغ في ذكرها وتعمم وصف قطاع كبير منهم بها، وقد نبه لهذا الجاحظ في ختام كتابه البخلاء حين أشار لكتابه المفقود الشعوبية، وما ذكرا فيه من انتقاص الشعوبيين لطعام العرب، وألوان حياتهم، وأنهم يعممون المنقصة التي توجد في شخص منهم في القبيلة كلها، وربما العرب كلهم، ولا مانع من أن ينحلوا لهم خلال ذلك شعرا ينتقصهم."[2]

كما بين طه حسين أمثلة حول هذه الشعوبية التي حملت الفرس على انتحال الأشعار والأخبار وذالك من خلال قوله:" كيف أنطقوا العرب بكثير من نثر الكلام وشعره، فيه مدح للفرس وثناء عليهم، وهم زعموا لنا أن الأعشى زار كسرى ومدحه وأخذ من جوائزه وأضافوا إلى عدي بن زيد، ولقيط بن يعمر وغيرهما من إياد والعباد، كثيرا من الشعر فيه الإشادة بملوك الفرس وسلطانهم وجيوشهم."[3]

[1]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص118.

[2]- علي خليفة، **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص85.

[3]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص 123.

أي أن العرب بعدما قولوهم الفرس ما لم يقولوه وبالرغم من هذا المدح والإشادة إلا أنهم جعلوا العرب يختلقوا جراء ذالك"حكايات الوفود التي قيل أنّها أوفدت إلى كسرى والتي تذكر محامد العرب ومناقبهم ووقائع لم تحدث زعموا أنهم انتصروا فيها على العجم".[1]

وهنا نجده ينكر زيارة الأعشى لكسرى بالتالي فهو ينفي هذا الشعر عن الأعشى وقد رد عليه محمد الخضر حسين قائلا:"إن الذي يريد أن ينفي هذا الشعر عن الأعشى وعدي بن زيد يحتاج إلى أن يدّعي أنهما اسمان خياليان، أو أنهما لم يكونا شاعريين، أو أنهما لم يتصلا بكسرى، وقد أدرك الأعشى عهد البعثة و لم يكن عدي بن زيد منها ببعيد، وقد تواردت كتب التاريخ والأدب على أنهما كانا يفدان على كسرى".[2]

بالتالي نحن نوافق طه حسين في أن الشعوبية موجودة في الموالى الفرس وأنهم كانوا يحقدون على العرب؛ غير أنه كان لهم شعر قليل ومعظمه منتحل فهذا غير صحيح وخاصة أنه لا يأتينا بأحداث حقيقية مثل روايته عن الأعشى وعدي بن زيد وروايات أخرى مثلها مثل رواية ابن جرير في تاريخه.

"كما يشير إلى نوع آخر من النحل دعت إليه الشعوبية، تجده بنوع خاص في كتاب الحيوان للجاحظ وما يشبهه من كتب العلم التي ينحوا بها أصحابها نحو الأدب ذالك أن الخصومة بين العرب والعجم دعت العرب وأنصارهم إلى أن يزعموا أن الأدب العربي القديم لا يخلو من شيء تشتمل عليه العلوم المحدثة، فإذا اعرضوا لشيء مما في هذه العلوم الأجنبية فلا بد من أن يثبتوا أن العرب قد عرفوه أو ألموا به أو كادوا يعرفونه ويلمون به".[3]

فهو هنا يقر أن العرب في الجاهلية جهلاء وليسوا على دراية بالعلوم وحتى يثبتوا أنفسهم أمام الأمم؛ بأنّهم على دراية بهذه العلوم، وأن لهم نسبة من الحكمة والذكاء، انتحلوا واختلقوا هذا الشعر؛

[1]-محمد فريد وجدي، **نقد كتاب الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص180.

[2]-محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص250.

[3]-ناصر الدّين الأسد، **مصادر الشّعر الجاهليّ وقيمته التّاريخيّة**، مرجع سابق، ص393.

ورأيه هذا جعلني أرى أنه متناقض في جل أرائه فكيف يصفهم هنا ب الجهل والغباء وفي أوائل كتابه يصفهم بأصحاب علم وذكاء.

وآخر ما تناوله من أسباب الانتحال هو دور الرواة في وضع الشعر لتكثر في الرواية؛"بحيث يجعل طه حسين من إشكالية الرواية والرواة خاتمة المسك لقضية النحل والوضع فيرى أن الرواة بين اثنين: إما أن يكونوا من العرب فهم متأثرون بما كان يتأثر به العرب، وإما أن يكونوا من الموالى، فهم متأثرون بما كان يتأثر به الموالى من تلك الأسباب العامة... ولعل أهم هذه المؤثرات التي عبثت بالأدب العربي وجعلت حظه من الهزل عظيما مجون الرواة وإسرافهم في اللهو والعبث، وانصرافهم عن أصول الدين وقواعد الأخلاق."[1]

وهنا يرى طه حسين أن الأمة كلها فاسقة وتتصف بالمجون، والانصراف عن الدين والأخلاق، وأن هذه المؤثرات هي السبب الذي جعلهم يختلقون هذا الشعر الجاهلي؛ وهذا غير صحيح فلا يمكنه أن يقوم بتعميم هذه الصفات على الأمة كلها ليصل إلى هدفه، وقد رد على النقطة التي يَدعي فيها أن الرواة لازال انتحالهم موجود علي خليفة في قوله:"بأن الرواة والنقاد العرب القدماء الموثوق فيهم- كالأصمعي وأبي عمروا بن العلاء والمفضل الضبي- كانوا قد فحصوا الشعر الذي رواه الرواة المتهمون بالرواية والتزيد فيها كحماد الراوية وخلف الأحمر، وابن الكلبي، ووثقوا ما رأوه صحيحا فيما ذكروه وأثبتوا ما هو منحول مما نسبوه للعرب في العصر الجاهلي."[2]

إذن نوافق طه حسين في رأيه حول وجود أشخاص من الموالى قد انتحلوا بعض من الشعر كحماد الراوية وخلف الأحمر لأن الكتب التاريخية توافق على ذالك غير أنه يضم إلى هذه المجموعة رواة آخرون من الأعراب وذالك في قوله": وهناك طائفة من الرواة غير هؤلاء ليس من شك في أنهم كانوا يتخذون النحل في الشعر واللغة وسيلة من وسائل الكسب وكانوا يفعلون ذالك في شيء من

[1]-ولي يحي حيدر، مجلة الآداب، **نظرية الشك بين استشرقية مجليوث واستغربية طه حسين**، مرجع سابق، ص170.

[2]-علي خليفة، **الأدب في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص86.

السخرية والعبث نريد بهم هؤلاء الأعراب الذين كان يرتحل إليهم في البادية رواة الأمصار يسألونهم عن الشعر والغريب."[1]

فهو هنا يزعم أن هؤلاء الأعراب لما أحسوا ازدياد حرص الأمصار على هذه البضاعة انحدروا إلى الأمصار لكسب الرزق وذالك بالكذب على القدماء.

"كما يرى طه حسين أن أهل الكوفة وأهل البصرة مجمعون على أن أساتذتهم حماد الراوية وخلف الأحمر، قد أخذوا ما أخذوا من شعر العرب، وأنهم قد اتصفوا بسوء الخلق والدين والمروءة، غير أنهم مجمعون على أنهما لم يكونا يحفظان الشعر ويحسنان روايته فقط بل كانا شاعريين مجيدين يصلان من التقليد بالمهارة فيه إلى حيث لا يستطيع أحد أن يميز بين ما يرويان وينتحلان."[2]

إذن نجد طه حسين لا ينكر أن الرواة كانوا من أبصر الناس باللغة والشعر لكنه من جهة أخرى يجرح بعضهم من ناحية الصدق والأمانة متخذا غير الأمناء منهم وسيلة إلى التشكيك في الأمناء وخاصة أنه يحاول التصغير من قدرة هؤلاء العرب على النقد.

وفي الأخير ينتهي إلى أن:"كل شيء في حياة المسلمين في القرون الثلاثة الأولى كان يدعوا إلى انتحال الشعر وتلفيقه سواء ذالك فالحياة الصالحة حياة الأتقياء والبررة، أو الحياة السيئة حياة الفساق وأصحاب المجون."[3]؛ أي أنّ كل ذلك الشعر عند العرب والفرس كان منتحلا ومختلقا.

3-الشعر والشعراء:

تناول الدكتور "طه حسين" في هذا الجزء بذّات والثالث والأخير من كتابه "الشعر الجاهلي" الشعر والشعراء، واستهل هذا القسم بقصص وتاريخ قائل في ص125": نظن أن أنصار القديم لا يطمعون منا أن نغير لهم حقائق الأشياء أو نسمي هذه الحقائق بغير أسمائها. لنبلغ رضاهم ونتجنب سخطهم".

---

[1]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص135

[2]- ينظر: نفس المرجع، ص132.

[3]- ينظر: نفسه، ص136.

عرف القراء أن ما تحدث به المؤلف بإنكاره لشعر جاهلي، " قد سبقه إليه قوم آخرون، وقرأ الأدباء ما كتبه أولئك الباحثون و لم يسخطوا عليه. وإذا لم يسخطوا على الرأي عند صدمته الأولى، أفيسخطون عليه حين يردده قلم المؤلف بعد أن ألفوا سماعه؟ وقد قلنا فيما سلف: إن الناس لم يغضبوا لما تحدث به في هذا الكتاب إلا حين مد يده إلى مطاعن ورمى بها إلى ناحية الإسلام في هيئة ينبذها أدب الاجتماع جانبا.[1]

من خلال ما سبق بين لنا صاحب كتاب النقض موقف "طه حسين" في أول محطته في القسم الثالث من كتابه، حيث ذهب إلى إنكار الشعر والشك فيه وفي أخباره وطعن في الإسلام، وعليه جعل الباحثون يسخطون ويغضبون على قلمه.

وذكر أيضا المؤلف "طه حسين" في ص 137 "ولن نستطيع أن نسمي حقا ما ليس بالحق، وتاريخا ما ليس بالتاريخ. ولن نستطيع أن نعترف بأن ما يروى من سيرة هؤلاء الشعراء الجاهليين وما يضاف إليهم من الشعر تاريخ يمكن الاطمئنان إليه أو الثقة به؛ وإنما تبعث في النفوس ظنونا وأوهاما".[2]

هنا المؤلف "طه حسين" في مقولته سابقة الذكر بين لنا أن قضية الشعر وتاريخه محل شك وأن هذا التاريخ زائف لا وجود له ولا ثقة فيه، وليس بيقيني لكي نعتمد عليه أو نأخذ به، وهنا المؤلف خرج عن المعقول لأنه شكك في تاريخ الشعراء العظيم.

وفي قوله هذا أيضا: " بأن ما ليس حقا بالحق، وما ليس تاريخا بالتاريخ" يتراءى للقراء من خلال هذا بأن المؤلف ليس له الحق فما طرحه أو الحكم عليه.

وقال أيضا في الصفحة الموالية 137-138 " وسبيل الباحث المحقق أن يستعرضها في عناية وأناة وبراءة من الأهواء والأغراض، فيدرسها محللا ناقدا مستقصيا في النقد والتحليل. فإن انتهى من

[1] -محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص 239.

[2] - طه حسين: **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص 137.

درسه هذا إلى حق أو شيء يشبه الحق أثبته محتفظا بكل ما ينبغي أن يحتفظ به من الشك الذي يحمله على أن يغير رأيه ويستأنف بحثه ونظره من جديد".[1]

المؤلف هنا يوضح للقارئ المتلقي الذي يأخذ المعلومة بصدر رحب ويتقبلها كما هي، ويشرع في تحليلها والعمل بها دون أن يمعن النظر في محتوها الحقيقي، ويبعث له إشارة إلى أن يأخذها بزاوية أخرى ويجعلها مادة بحث ونظرية دراسة من حيث تطبيق منهج الشك عليها وذلك لتغيير ما يجب أن يغير وإتيان بالجديد واليقين؛ كلامه هنا توضيح صحيح، لكن ليس بضروري إتباع منهج الشك المتبنى عنده بدراسة في بحوثنا.

وقال المؤلف في ص126:"ذلك أن أخبار الجاهلين وأشعارهم لم تصل إلينا من طريق تاريخية صحيحة، وإنما وصلت إلينا من هذه الطريق التي تصل منها القصص والأساطير: طريق الرواية والأحاديث؛ طريق الفكاهة واللعب، يعرف القراء ما كان للعرب من العناية برواية الشعر وإنشاده، لا يمتاز بذلك الرجال عن الغلمان، ولا الطبقة المستنيرة عن طبقة العوام، وكانوا يتنافسون في هذا المجال، وكادوا لا يعرفون فنّا من فنون العلم سواه."[2]

وفي هذا الصدد نرى أن المؤلف يعتبر أن ما آتى به الشعراء ليس بتاريخ الصحيح بل مجرد روايات تتناقل من جيل إلى جيل، وقد نقده المؤلف هنا على مقولته السابقة، بأن العرب كان لهم العناية برواية الشعر وإنشاده ولا يعرفون فنا من فنون العلم سواه.

"القرآن هو النص العربي القديم الذي يطمئن إلى صحته المؤلف، أما شعر هؤلاء وخطب الخطباء وسجع الساجعين فلا سبيل إلى الثقة بها والاطمئنان إليها، ولاسيما بعد ما بسطه في الكتاب الأول من الأسباب التي كانت تحمل الناس على التكلف والانتحال."[3]

[1]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص ص137-138.

[2]- محمد لخضر حسين، **نقض كتاب في لشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص240.

[3]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص138.

على حسب ما طرحه المؤلف في قوله نرى أنه قد مس القرآن بخدش، وذلك خلاف لشرع وجدل كبير أوقعه على نفسه، وذهب أيضا إلى أن تاريخ الشعراء وشعرهم ليس بالوثيق وأنه منتحلا.

وبين لنا أيضا المؤلف في الكتاب الماضي "أن هذا ليس شأن الآداب العربية وحداها، وإنما هو شأن الآداب القديمة كلها، وضرب لنا الأمثال بأدب اليوناني والأدب اللاتيني. وأنّ كل أدب قسمه الصحيح وقسمه المتكلف، ولكل أمة تاريخها الصحيح والمنتحل. ولسنا ندري لم يريد أنصار القديم أن يميزوا الأمة العربية والأدب العربي عن سائر الأمم والآداب؟"[1]

انطلاقا من هذه الرؤية يذهب "طه حسين"، إلى اعتبار مذهب القدماء في دراسة الشعر والحديث عن الشعراء الجاهلين وتفسير أشعارهم ونقلها إلينا وتقسيمهم للأدب العربي إلى عصور، عبارة عن ضرب العناية...بالقشور والأشكال لا تمس اللباب ولا الموضوع...

ويذهب أيضا إلى الموازنة بين مذهب القدماء ومذهب أنصار الجديد الذين يحملهم مهمة أصعب من سابقيهم، فليس الطريق مهيأة أمامهم كي يصلوا إلى الحقيقة."[2]

يعتبر "طه حسين" أن جل الآداب العربية ينطبق عليها المنهج المتبع لديه، وأن دراسة القدماء للشعر وتفسيرهم للأشعار وتقسيماتهم للأدب يعد مجرد شكل، وعليه لا يجب أن ننكر فضل القدماء وما خلفوه من قصص كما أدعى "طه حسين"، لأنهم هم السابقون لهذا التاريخ الذي وصلنا الآن، وذهب أيضا إلى موازنة بين مذهب القدماء والمحدثين، وأنهم بهذا الطريق لا يصلون إلى الحقيقة، فهو طعن في القدماء و لم يجعل لهم أي مكانة في التاريخ الأدبي.

يرى المؤلف أن للعرب خيالهم الشعري، وأن هذا الخيال أثمر هذه القصص والأساطير التي تروى من العصر الجاهلي والإسلامي، ثم قال في ص127:"وقد رأيت في فصولنا التي سميناها: "حديث

[1]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص139.

[2]- طارف بوحالة، **مجلة اشكالات دورية نصف سنوية محكمة، دراسة نقدية تحليلية في كتاب في الشعر الجاهلي**، العدد الثاني، المركز الجامعي، ميلة الجزائر، ماي 2013، ص185-186.

الأربعاء" أن نشك في طائفة من هذه القصص الغرامية التي تروى عن العذريين وغيرهم من العشاق في العصر الأموي".

وقد وضح لنا محمد الخضر حسين في قوله: "أن جماعة من الرواة أنكر حديث "قيس بن الملوح" (مجنون ليلى) وقالوا: إن الشعر المعزو إليه كله مولد، وقال بعضهم: إنه اسم مستعار لا حقيقة له وقال: «جرجي زيدان" في تاريخ آداب اللغة العربية:" ومما وضعه العرب من عند أنفسهم أيضا قصص العشاق العذريين". وقال: "وأخبار العذريين في العفة أكثرها موضوع، وقد أجمع الرواة على أن أخبار مجنون ليلي موضوعة، ويراد بها تمثيل العفة مع الثبات على الحب، وقس على ذلك أكثر ما يرونه من هذا النوع".[1]

وضح لنا المؤلف هنا ما يراد به "طه حسين" في كتابه وقوله الذي سبق بأن للعرب خيالهم الشعري، وبين لنا موقفه الذي تمثل في أن خيال العربي وقصصه الغرامية وشعره مستعار لا حقيقة له، أي هنا المؤلف يشكك في نسبة تلك القصص والأشعار، وبأنها لا وجود لها، لو كانت غير موجودة فمن أين أتت تلك الروايات والأساطير الضخمة الهائلة ووصلت لنا بخيال شعري متنوع ورائع؛ أي أن المؤلف شكه ليس في محله.

كما قال أيضا": يجب أن نلغي عقولنا كما قال بعض الزعماء السياسيين-لنؤمن بأن كل ما يروى لنا عن الشعراء والكتاب والخلفاء والقواد والوزراء صحيح، لأنه ورد في كتاب الأغاني أو في كتاب الطبري أو كتاب المبرّد أو في سفر من أسفار الجاحظ. وأن نلغي وجودنا الشخصي ونستحيل إلى كتب متحركة."[2]

بين لنا المؤلف هنا أنه يجب علينا نلغي عقولنا ووجودنا ونذهب إلى الاعتماد على ما آتى به الكتاب من كتب كاملة ونسعى إلى حفظها ونسخها، لأن ما يروى لنا عن هؤلاء الشعراء والكتاب

[1]- محمد الخضر، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص242.

[2]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص ص139-140.

يعد صحيح لا ريب فيه، يعد موثق، لكن ليس واجب علينا أن نلغي فكرنا عن الإتيان بالجديد والإبداع والبحث. فنحن بعقولنا وفكرنا موجودين ولنا أثر في الحياة.

كما يقول أيضا في الصفحة 128:" لأنصار القديم أن يرضوا لأنفسهم بهذا النحو من أنحاء الحياة العلمية، أما نحن فنأبى كل الإباء أن نكون أدوات حاكية وكتبا متحركة، ولا نرضى إلا أن تكون لنا عقول نفهم بها ونستعين بها على النقد والتمحيص في غير تحكم ولا طغيان".

إذن "يخرج المؤلف للتردد على مثل هذه الجمل الداخلة في استطاعة كل كاتب، ليتخذ منها شاهدا على أن له عقلا يستعين بها على النقد والتمحيص؟ لا نستبعد أن يكون لتلاوة هذه الجمل سر يظهر أثره في نفوس الطائفة التي يسميها مستنيرة، وإنما الذي نراه لائقا بمن يبحث وهو على ثقة من حسن تصرفه وقوة حجته أن يترسل في الموضوع ويأخذ البحث بالنقد والتمحيص فلا يسع القراء إلا أن يشهدوا بأن له عقلا ينقد ويمحص، ولا خير في مؤلف يدعي أنه يأبى أن يكون أداة حاكية أو كتابا متحركا، وأنت إذا قلبت نظرك فيما يؤلف وجدته يشهد بملء صفحاته على أن صاحبه أداة حاكية، وكتب ومقالات متحركة."[1]

المؤلف هنا بين لنا ما آتى به "طه حسين" في قوله، حين تكلم عن أنصار القديم ووضح لنا بأنه له عقلا فذا يبحث في الموضوع بنقد وتمحص، وينكر أي مؤلف أن يكون أداة حاكية.

تحدث أيضا المؤلف في الصفحة التي بعدها عن أنصار القديم وقال: " ما أعرف أن أحدا من أنصار القديم أنفسهم يقدّس المعاصرين ويطمئن إليهم من غير نقد ولا تبصر. وما بالهم يصطنعون ملكاتهم الناقدة بالقياس إلى المعاصرين ولا يصطنعونها بالقياس إلى القدماء."[2]

عرض لنا المؤلف في هذا الصدد ما ذهب إليه القدماء والنحو الذي نحوه في حياتهم، بأن اعتمدوا على المعاصرين في اصطناع ملكاتهم وقدسوهم لأنهم على فطنة أكثر من غيرهم، في نفس

[1] – محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص243.

[2] – ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص141.

الوقت يطرح سؤالين: لماذا هذه التفرقة الحاصلة بين أنصار القديم والجديد؟، ولماذا الحق كله للقديم على حساب الجديد؟

طه حسين في كتابه قال: "زعموا أنّ أهل الأجيال القديمة كان لهم أوصاف خاصة وفضل كبير، وعلى هذا فقد كان العامة يؤمنون بهذا الإيمان بأن القديم خير من الجديد، ولأننا ساخطون بطبعنا على الحاضر من جهة أخرى، وأن للقدماء رواد من أمثالهم "خلف وحماد والأصمعي وأبي عمرو ابن العلاء" وأن هؤلاء أحسن من المعاصرين أخلاقا وأذكى منهم أفئدة، وأقوى منهم حافظة وأثقب منه بصائر، ورغم ذلك لا نزعم أنهم كانوا خير منهم. وإنما أولئك وهؤلاء سواء، لا تفترق بينهم إلا الظروف الحياة."[1]

من خلال ما أورده المؤلف من حديث على أنصار القديم والحديث، نرى أن للقدماء مشوار طويل وأعمال ضخمة تتوارى بين الأجيال، ولأنصار الجديد أيضا أعمال أنجزوها ولكل منهم ظروف تبينه، ومع ذلك يذهب الأغلبية إلى الاعتراف بجميل القدماء دون غيرهم من الأنصار اللاحقين، وعليه ليس علينا التفرقة بينهم ولو لكل واحد منهم فضل يمثله.

بعدما فرغ المؤلف من الحديث عن قصص والتاريخ انتقل بنا إلى التفصيل في حياة الشعراء وشعرهم، وعن أخبارهم وما نقله الرواة عنهم، ومن ذلك بدأ لنا بأقدم الشعراء وأشهرهم في العصر الجاهلي: امرؤ القيس وعبيد وعلقمة، وعمرو ابن كلثوم ومهلهل وقميئة، وطرفة ابن العبد المتلمس، وأولهم امرؤ القيس–عبيد علقمة.

وعليه من خلال ذلك بدأ الحديث عنهم المؤلف "طه حسين" في كتابه عن الشعراء القدماء فقال: "بأنهم يتحدثون بأسماء طائفة من الشعراء وزعموا أنهم عاشوا قبل امرؤ القيس وقالوا شعرا، ولكنهم لا يرون لهؤلاء الشعراء إلا البيت أو البيتين أو الأبيات".[2]

[1]– ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص ص142–143.

[2]–ينظر: نفس المصدر، ص144.

يرى المؤلف هنا أن بعض الشعراء يروون أنهم عاشوا قبل الشاعر «امرئ القيس" وقالوا شعرا، لكنهم لا يرى لهم إلا أبيات قليلة، وليس ممكن كل ما قاله المؤلف يكون هو الحقيقة، فقد يوجد هناك عدة احتمالات أو أسباب منها أن أشعارهم ذهبوا مع الزمن أو الرواة لم ينقلوها لهم آنذاك.

وقد فصل في هذا الجزء من الفصل في الحديث عن الشاعر "امرئ القيس" وقال: "بأن الرواة فلا يختلفون في أنه رجل من كندة ولكن من كندة لا يختلف الرواة في أنها قبيلة من قحطان، وهم يختلفون بعض الاختلاف في نسبها وفي تفسير اسمها وفي أخبار سادتها، ولكنهم على كل حال يتفقون على أنها قبيلة يمانية. وعلى أن امرؤ القيس منها".[1]

المؤلف هنا وضع عدة اختلافات حول قبيلة "امرؤ القيس" وقال إن الرواة لا يختلفون من أنه من قبيلة قحطان، ولكن يختلفون في نسبها واسمها واتفقوا أنها قبيلة يمانية وأن الشاعر منها، وأيضا المؤلف طرح سؤال من هو "امرؤ القيس"؛ أي يشكك فيما ذهب إليه البعض عن نسبه وأصله.

وعليه يقول المؤلف "طه حسين" في هذا الصدد:"فأما اسم أبيه واسم أمه فأشياء ليس من اليسير الاتفاق عليها بين الرواة؛ فقد كان اسمه امرأ القيس، وقد كان اسمه حندجا، وقد كان اسمه قيسا. وكان اسم أمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب، وكان اسم أمه تملك. وكان امرؤ القيس يعرف بأبي وهب، وكان يعرف بأبي الحارث. ولم يكن له ولد ذكر. وكان يئد بناته. وكانت له ابنة يقال لها هند. وكان يعرف بالملك الضّلّيل، وكان يعرف بذي القروح."[2]

وضح لنا المؤلف هنا أن الرواة اختلفوا في اسم الشاعر واسم عائلته ونسبه، وآخرون اتفقوا على ذلك، من خلال هذا حاول المؤلف التشكيك فيما ذهبوا إليه وبحث على اليقين.

يرى حسين الهنداوي أنّ "مصادر الأدب تذكر على أنّه كان في الجاهلية ستة عشر شاعر تسموا باسم امرئ القيس والقيس في اللغة الصنم"[3]، أما شاعرنا امرؤ القيس هو حندج بن حجر بن الحارث

[1]- طه حسين **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص144.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص145.

[3]- حسين علي الهنداوي، **الأدب والنقد والحكمة العربية ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي)**، مرجع سابق، ص193.

بن عمروا آكل المرّار، وهم ملوك كندة المعروفون، ويلقب بالملك الضّلّيل وذا القروح ويكنى أبا وهب أو أبا الحارث أو أبا زيد، وأمه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير التغلبية، وهي أخت كليب ومهلهل أبنى ربيعة التغلبيين.

إذن الباحث عبد المتعالي الصعيدي يقول: "وقد أراد بعض الأدباء عصرنا منهم المؤلف طه حسين أنّ يستغل هذا الخلاف في إنكار وجود هذا الشاعر ليجعل قصته أسطورة خيالية لا سيرة حقيقية لشخص حقيقي، فهي عنده موضوعة في حوادثها، موضوعة في شعرها، هذا الخلاف لا يصح أن يستغل في ذلك، وأنه لو كان امرؤ القيس أسطورة من الأساطير لكان أمره عند علماء النسب أهون من أن يختلفوا هذا الخلاف الكثير في أمره، فهو أجدر بالدلالة على شخص حقيقي منه بالدلالة على شخص خيالي، وكم من رجال حقيقيين في العرب وغيرهم وقع في نسبهم من الخلاف ما لا يذكر بجانبه هذا الخلاف في نسب امرئ القيس."[1]

برغم ما جرى من خلاف حول الشاعر "امرئ القيس" إلا أن الكثرة اتفقت على شيء واحد في نسبه واسمه، فاتفق المؤلف على ما ذهب إليه الكثرة بترجيح، أي أنه في نفس الوقت لم يطمئن كل الاطمئنان لذلك وجعل من الشاعر وقصته أسطورة خيالية لا وجود لها فل الواقع، وعلى ذلك تلقى انتقادات عدة من النقاد والباحثين.

وبعد ذلك انتقل بنا المؤلف بكتاباته إلى قصة "الأشعث بن معدي"، "فإنّ تاريخ الأشعث بإيجاز فهو أنّه وفد إلى النبي سنة عشر من الهجرة في وفد كندة وكانوا ستين راكبا فأسلموا وقال الأشعث لرسول الله: أنت منا؟

فقال الرسول: نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا؟ فكان الأشعث يقول لا أوتي بأحد ينفي قريشا من النضر بن كنانة إلا جلدته.

[1]-ينظر: عبد المتعال الصعيدي، **زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدى بن زيد**، مرجع سابق، ص ص15-16.

ولما أسلم خطب أم فروة أخت أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-فأجيب إلى ذلك وعاد إلى اليمن. وكان الأشعث ممن ارتد بعد النبي فسير أبو بكر الجنود إلى اليمن فأخذوا الأشعث أسيرا فأحضر بين يديه فقال له "استبقني لحربك وزوجني بأختك" فأطلقه أبو بكر وزوجه أخته وهي أم محمد بن الأشعث. ولما تزوجها اخترط سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى جملا ولا ناقة إلا عرقبه، وصاح الناس (كفر الأشعث!) فلما فرغ طرح سيفه وقال: «إني والله ما كفرت ولكن زوجني هذا الرجل أخته ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه يا أهل المدينة أنحروا وكلوا ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا أثمانها؟ " فما رؤية وليمة مثلها"[1]

قص لنا المؤلف "طه حسين" في كتابه نفس القصة التي أوردناها سابق، وهذه القصة تتبعها عدة قصص وقعت للأشعث في حياته، تمثلت أول في إسلامه وزواجه أخت أبو بكر وإقامة وليمة ضخمة لذلك، ثم بعد ذلك نأتي إلى سرد قصة رحلته كما وضحها لنا المؤلف.

وتمثلت هذه القصة في أن الأشعث شارك في فتح الشام، وشهد مواقع المسلمين في حرب الفرس، وحسن بلاؤه، وكان سيد من سادات الكوفة، وشهد عدة قصص، وكان سبب في إراقة الدماء المسلمين من أهل العراق والشام، ثم انهزم فلجأ إلى ملك الترك، ثم أعاد فتنقّل في مدن فارس، ثم استيأس فعاد إلى ملك الترك، ثم غدر به حين أسلمه إلى عامل الحجاج، ثم قتل نفسه في طريقه إلى العراق.[2]

كل هذه القصص المتعلقة بالأشعث التي أتى بها المؤلف "طه حسين" لنا وسردها من أولها إلى آخرها متأثرا بها وبعمل القصاص الذين كانوا يعملون لآل الأشعث، المغزى من ذلك يرى أنها قصص تشبه شاعرنا "امرؤ القيس" في مختلف الوجوه وما حدث له في حياته ورحلته وثأره على أبيه.

حسب ما ورد عند محمد لطفي جمعة "أنّ الأشعث بن قيس من قبيلة كندة القحطانية اليمنية وامرؤ القيس من أهل نجد و لم يعرف اليمن ولا القحطان وقد نسبوه إلى كندة تاريخا كما نسبوا غيره

[1]- محمد لطفي جمعة، **نقد كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص284-285.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص ص147-148.

واسم قيس شائع في كل جزيرة لأنه اسم قبيلة بأسرها حتى أنهم ميزوا بين شاعرين باسم الأعشى فقالوا أعشى قيس وأعشى همدان. فلا توجد قرابة ولا نسب ولا علاقة بين امرئ القيس وبين الأشعث و لم يجرأ المؤلف أن يفتعل أكذوبة فيقول إن الأشعث حفيد امرئ القيس لأن امرأ القيس لم يعقب ولدا ولا حفيدا وكان مطالبا بعرش أبيه وهلك في سبيل الأخذ بثأره. فإذن يخترع المؤلف سببا آخر غير سبب القرابة والنسب فيقول:

"أليس من اليسير أن نفترض بل أن نرجح أن حياة امرئ القيس كما يتحدث بها الرواة ليست إلا لونا من التمثيل لحياة عبد الرحمان حفيد الأشعث استحدثه القصاص إرضاء لهوى الشعوب اليمنية في العراق، نقول إن من يكتب مثل هذا القول في كتاب تاريخ وأدب من اليسير عليه أن يفترض ويرجح كل شيء مادام في مجال الافتراض والترجيح فهو لا يكتب تاريخا ولا أدبا ولا يطالب أحدا بتصديقه أو الأخذ عنه أو الاقتداء به، لأنه لو كان يقصد أن يصدق لنا لقدم لنا غير الافتراض والترجيح. إذن فهذه بضاعة الشيخ من معمل الاختلاف والاصطناع الذي نظمه في دماغه يخرج منه تلك السخافات ليلهوا بها ويلهي القارئ."[1]

في هذا المقام يوضح الناقد محمد لطفي جمعة ما كتبه المؤلف "طه حسين" إزاء الشاعر امرؤ القيس، من حيث تشبيهه بحياة وقصص عبد الرحمان ابن الأشعث، وعليه تلقى انتقادات كثيرة منها: أنه ما قاله يعد مجرد سخافات لا تصدق آتى بها ليلهي القارئ فقط.

ويوضح أيضا محمد صبري الأشتر في قوله: "والظاهر أنّ حياة الشاعر لعب بها خيال الرواة حتى أذهب معالمها، وهذا ما جعل الدكتور "طه حسين" يوقع الشك فيها، ويذهب إلى أنها تمثيل لحياة عبد الرحمان بن الأشعث الكندّي الذي ثار على الحجاج في العراق، واستعان بملك الترك، ولكنه أخفق في مسماه."[2]

[1]- محمد لطفي جمعة، **نقد كتاب في الشعر الجاهلي، الشهاب الراصد**، مرجع سابق، ص286.

[2]- محمد صبري الأشتر، **العصر الجاهلي الأدب والنصوص والمعلقات**، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، د.ط، حلب، 1414ه-1994م، ص84.

كل ناقد وباحث يرى ما جاء به المؤلف "طه حسين" يجب أن يبني عليه عدة انتقادات وتصورات لأن شكه هنا يبعث حركة في النفوس وردود مختلفة عليه وعلى منهجه.

وبعد ما فرغ المؤلف من قصص الشعراء وتربطها مع بعض وخلق التشابه بينها التفت إلى شعر امرؤ القيس وقال فيه: «وشعر امرئ القيس ما شأنه؟ وما تأويله؟ شأنه يسير، وتأويله أيسر". وجعل من شعره قسمين:

أحدهما: ربطه بقصص الأولى وأنه منتحلا، ويعد شعر إسلامي لا جاهلي.

ثانيهما: لا يتصل بهذه القصة، وإنما يتناول فنونا من القول مستقلة من الأهواء السياسية والحزبية."[1]

إذن فالتاريخ يقرر بوضوح أن امرأ القيس سليل أسرة كندية يمانية سكنت نجدا وحكمتها نحوا من مائة سنة وهو لا يعتمد مطلقا في تقرير هذه الحقيقة على شعر امرئ القيس-كما يظن زميلنا الدكتور طه حسين-، وإنما يعتمد على المصادر التي روى عنها مؤرخو العرب كل ما رووا من شئون شبه الجزيرة العربية وأحوالها السياسية والاجتماعية قبل الإسلام وبعده بقرن وبعض قرن.

أنا لا أقول إن هذه المصادر معصومة من الزلل ولكني أقول: "إن شعر امرئ القيس لا ينفي شيئا ولا يثبت شيئا في لغته أو شأنه أو نسبه أو تأريخ أسرته عند القدماء. وإن مؤرخي العرب لم يستدلوا بشعره يوما ما على شيء من كل ذلك، وقد لا أخطئ إذا قلت إن الأستاذ"طه حسين" أول من زعم أن القدماء أو أنصارهم (يثبتون لغة امرئ القيس بشعره) وقد يكون آخر من يفعل ذلك. وهنا قد وجد مؤلف الأدب الجاهلي "طه حسين" نفسه أمام مشكلة أعقد من ذنب الضب عندما تساءل: أكانت لغة قريش التي نظم امرؤ القيس بها شعره سائدة بنجد في زمن امرئ القيس؟ وأجاب على هذا

[1]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص149.

بالنفي؟؟ وعندي أن الشك بانتشار لغة قريش في نجد قبل الإسلام ولاسيما في زمن امرئ القيس مجرد وهم. لأنه ليس لدينا ما يدعونا إلى أن نتصوره أو نفترضه..."[1]

قسم لنا المؤلف "طه حسين" من خلال كتابه وبحثه شعر امرئ القيس إلى قسمين وربط لنا حياته بشعره، وعليه نقده الناقد في هذا من خلال ما سبق وبين لنا بأن المؤلف أوقع نفسه في مشكلة أعقد، وأن شكه في ذلك لا حقيقة له في تاريخ يعد مجرد وهم وافتراض وتصور.

المؤلف طه حسين "وبعد أنّ أنكر حياة امرئ القيس وادعى انتحالها لأسباب سياسية أشعثية كندية يمنية إسلامية عاد فشبه شخصية امرئ القيس بشخصية الشاعر اليوناني هوميروس وأقر بأن هوميروس وجد حقا وأثر في الشعر القصصي حقا وكان تأثيره قويا باقيا ص150 (راجع ما قاله ضد هذا الرأي في كتاب الشعر الجاهلي نفسه) وظاهر جدا أن المقارنة بين هوميروس وامرئ القيس نوع من الخرف لأن هوميروس كان شاعرا قصصيا وامرأ القيس كان شاعرا غنائيا، ولأن هوميروس كان شاعرا ضريرا يطوف القرى مثل أعشى قيس يسأل بشعره يضيفه الكرام والأغنياء شفقة وحنانا وتقديرا لفئة أما امرؤ القيس فكان أميرا ابن ملك تنقل بين القصور والحصون وعواصم الممالك مصحوبا بحاشية ومال موفور الكرامة لا ليستجدي كهوميروس أو الأعشى بل ليستنجد على الأخذ بثأر أبيه، فشتان يا أستاذ بين هذا وذاك؟ ولما شعر بخيبته في المقارنة بين هوميروس وامرئ القيس"[2].

من خلال ما سبق نرى أن المؤلف "طه حسين" لا يعرف عن شخصية الشاعر امرئ القيس إلا القليل الذي يسرده الرواة عنه مثلما يروون القصص والأساطير، وهذا ما جعله لا يطمئن لذلك وذهب إلى تشبيه امرئ القيس بالشاعر اليوناني هوميروس، وعليه هنا لم يكن هذا التشبيه في محله، بل خلق نوع من السذاجة والتفاهة، لأنهما شاعرنا لا يتشابهان فأول شاعرا قصصيا والثاني شاعرا غنائيا.

وفي الصفحة التي بعدها ذهب المؤلف "طه حسين" إلى القول: «أن الأخبار والأشعار التي تنقل امرئ القيس بين العرب تعد منتحلة وأن صاحب الأغاني يحدثنا أن القصيدة القافية التي تضاف إلى

[1]-ينظر: محمد مهدى البصير، **بعث الشعر الجاهلي**، - ينظر: مطبعة التفيض، الأهلية-بغداد، 1939، ص11-12.

[2]-ينظر: محمد لطفي جمعة، **نقد كتاب في الشعر الجاهلي الشهاب الراصد**، مرجع سابق، ص ص287-288.

امرئ القيس على أنه قالها يمدح بها السموأل حين لجأ إليه منحولة نحلها دارم بن عقال وهو ولد السموأل، وأنه نحل القصة كلها أيضا وما يتصل بها، ونحل قصة الأعشى الذي استجار بشريح بن السموأل وقال فيه شعر مشهور."[1]

كما يرى عروة بن الورد والسموأل في ديوانه "إنّ امرؤ القيس بن حجر لما صار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموأل ابن عديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم بنو أبيه وكراهة لفعله وتفرقهم عنه حتى بقي وحده، واحتاج إلى الهرب فطلبه المنذر بن ماء السماء (ملك الحيرة) ووجّه في طلبه جيوشا من إياد وتنوخ وغيرهما وجيشا من الأساورة أمر بهم كسرى أنو شروان، وخذلت حمير امرأ القيس وتفرقوا عنه، فلجأ إلى السموأل ومعه أدراع كانت لأبيه خمس وهي: الفّضفاضة والضافية والمحصّنة والخريق وأم الذيول. وكان الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك، ومعه بنته هند وابن عمر يزيد بن الحارث وغيرهم، فقال الفزاري: قل في السموأل شعرا تمدحه به فإن الشعر يعجبه، وأنشده الربيع شعرا مدحه به فقال امرؤ القيس فيه قصيدته التي مطلعها:

طرقتك هند بعد طول تجنب وهنَا ولَمْ تكُ قبل ذلك تطرقِ.

وقد بقي السموأل على تلك الأدراع حتى وافى بها الموسم فدفعها إلى ورثة امرئ القيس، وهدا ما جعل العرب يضربون المثل بوفائه كما سيأتي بعد ذلك الإشارة عليه."[2]

مما فصلنا الحديث فيه سابقا يوضح قصة امرئ القيس مع السموأل ووفائه، وهذا لنبين أكثر ونرد على ما جاء به المؤلف وادعاه اليقين في كتابه من إنكاره لهذه القصص وجعلها لا وجود لها من أساس وأنها منتحلة.

من خلال ذلك بين لنا محمد لطفي جمعة في قوله عن السموأل "ونحن لا نعجب لوفاء السموأل لامرئ القيس ذلك الوفاء الذي سار مثلا فقيل "أوفى من السموأل" و"وفاء كوفاء السموأل" ولكننا نعجب للمؤلف كيف ينكر ظهور الناس بالفضائل ولو كنت مجردا من الفضائل فلا استبيح لنفسي أن

[1]-ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص151.

[2]-ينظر: **عروة بن الورد والسموأل، ديونا**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1402ه-1982م، ص72-73.

أجرد الخلق منها ليشاركوني في ضدها، على أن بيت السموأل أشهر في التاريخ بالنجدة فاستجار الأعشى بشريح بن السموأل من رجل كلبي كان الأعشى هجاه ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه فنزل بشريح بن السموأل وأحسن ضيافته ومر بالأسمري فناداه الأعشى بمقطوعة منها:

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنِّي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ حِبالَكَ اليَوْمَ بَعْدَ القِدِّ أظْفارِي

وقارئ هذه المقطوعة لا يشك في نسبتها إلى للأعشى لكونها من نفسه وأسلوبه وقد أقراها المستشرق الألماني Geyer الذي نقل بعض قصائده المطولة إلى الألمانية وهو من المعجبين به. ولكن المؤلف يقول إن هذا الشعر منتحل وقصة أسر الأعشى منتحلة لتأييد قصة وفاء السموأل لامرئ القيس. فالتاريخ القديم والحديث والشعر الجاهلي وإسلامي كلها في نظر المؤلف «الشعر الجاهلي" منتحلة محمولة ليؤيد بعضها بعضا فهي سلسلة أكاذيب لا يعرف أولها من آخرها ولم يقم على ذلك دليل ولا برهان إلا في ذهن الشيخ "طه حسين" فقدم هذا الكتاب.[1]

أي ما يراه المؤلف على قصص الأعشى وشعره وقصة وفاء السموأل لامرئ القيس بأنهم منتحلين يعد ضرب من إنكار الفضائل وأكاذيب ليس له دليل عليها ولا برهان.

المؤلف طه حسين ذهب إلى "أنّ القصة المنتحلة سببا في انتحال قصة أخرى هي قصة ذهاب امرئ القيس إلى القسطنطينية وما يتصل بها من الأشعار."[2]

تعجب من أنّ امرأ القيس لم يقل شيئا في وصف ما رأى القسطنطينية من قصور وكنائس وفتيات، وتعده دليلا على أنّه لم يزرها وأنت تعلم أن الرجل لم يعش بعد أن وردها. ولم يكن مع خيبة أمله بالذي يفرغ لقول الشعر ووصف المظاهر الرومية، ولو كان الأمر راجعا إلى القصاص كما تفرض، وهم الذين قالوا هذا الشعر كله، ما أعجزهم أن يقولوا أبياتا يسدون بها هذا النقص الذي تخيلته.

[1]- ينظر: محمد لطفي جمعة، **نقد كتاب في الشعر الجاهلي الشهاب الراصد**، مرجع سابق، ص290.

[2]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص152.

كما يرد محمد الخضري على طه حسين فيقول: "ثم ماذا ترى إذا علمت أن كتاب الروم أنفسهم ذكروا أحاديث هذا الرجل في كتبهم ونحن ننقل لك عن كتاب شعراء النصرانية، قال في ص35 من الجزء الأول:

"وقد جاء ذكر امرئ القيس في تواريخ الروم. مثل نوروز وبر وكوب وغيرهما، وهم يسمونه قيسا. وقد ذكروا أنه قبل وروده على قيصر يوستيانس أرسل إليه وفدا يطلب منه النجدة على بني أسد وعلى المنذر ملك العراق". ثم قال ناقلا عن هؤلاء المؤرخين: «إن امرأ القيس لم يلبث أن سار بنفسه إلى قسطنطينية، فرغبه قيصر ووعده. وقد ذكر نوروز المؤرخ أن يوستيانس قلده إمرة فلسطين.

إلا أنه لم يسع في إصلاح أمره وإعادة ملكه، فضجر امرؤ القيس وعاد إلى بلده، وكانت وفاته سنة565، أصابه مرض كالجدري في طريقه كان سبب موته. وذكر في كتاب قديم مخطوط "أن ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرئ القيس أمر بأن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه. ففعلوا، وكان تمثال امرئ القيس هناك إلى أيام المأمون."[1]

إن الشاعر امرئ القيس إما لم يذكر معالم القسطنطينية كلها في شعره أو لم يقل إلا الشيء القليل في وصفها، أو ضاع ذلك من الرواة وهذا ليس بدليل على أنه لم يزرها، بل مجرد ظنون ذهب بها المؤلف في كتاباته ورسخها في عقله وحاول التشكيك فيها وجعل القصة مجرد نحل من القصاص والرواة.

أما ما ادعاه المؤلف من أن امرأ القيس لم ينظم شعر في رحلته إلى القسطنطينية فباطل فقد قال بذكر ابنته هند لما كان في قسطنطينية:

تَذَكّرْتُ هِنْداً وَأَتْرَابَهَا فأصْبَحتُ أزْمَعتُ منها صُدُودَا

وَنَادَمتُ قَيْصَرَ في مُلْكِهِ فأوْجَهَني وَرَكِبْتُ البَرِيدَا

[1]-محمد الخضري، **مجلة القضاء الشرعي**، دار العرب للبستاني، القاهرة، أبريل1989م، ص65-66.

وقال قصيدة يصف توجهه إلى القيصر:

بَكى صَاحِبِي لّما رأى الدَّرْبَ دُونه وأيقنَ أنا لاحقانِ بقيصرا

فَقُلتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّمَا نحاوِلُ مُلْكاً أوْ نُموت فَنُعْذَرَا

وقال في حياة السرور في قسطنطينية:

وإن أمس مكروبا فيارُبّ قينة منعمة أعملتُها بكران

لَهَا مِزْهَرٌ يَعْلُو الخَمِيسَ بِصَوْتِهِ أجَشُّ إذَا مَا حَرّكَتْهُ اليَدَانِ

وهذه حجة المؤلف في أن امرأ القيس لم يذكر القسطنطينية في شعره قد سقطت.[1]

وذهب المؤلف أيضا إلى أن كل شعر يتصل بسيرة امرئ القيس إنما هو من عمل القصاص ولا ينتسب إليه إلا قصيدتان اثنان:

الأولى: * **قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ***

والثانية: * **ألا عِمْ صَبَاحًا أيُّهَا الطّلَلُ البَالي** *

أما ما عادا هاتين القصيدتين فالضعف فيه ظاهر والاضطراب فيه بين والتكلف والإسفاف فيه يكادان يلمسان باليد.[2]

ولعل أول ما يلاحظ على هذه الأشعار القليلة أنها تنقسم إلى قسمين واضحين: قسما نظمه قبل أبيه وقسما بعد مقتله. أما القسم الأول فلا يعدو المعلقة، والمطولة الثانية في ديوانه (ألا عم صباحا أيها الطلل البالي) وهما جميعا مما رواه الأصمعي والمفضل الضبي وأبو عبيدة كما يتبين من تخريجهما في طبعة الديوان بدار المعارف. وإذا رجعنا إلى المعلقة وجدنا فيها جزءا خاصا بوصف البرق والمطر والسيول، ونجد نفس الموضوع في القطعة السابعة والعشرين التي رواها أبو عمرو بن العلاء عن ذي

[1]-محمد لطفي جمعة، **نقد كتاب في الشعر الجاهلي الشهاب الراصد**، مرجع سابق، ص291-292.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص153.

الرمة. ولعل في ذلك ما يؤكد صحة هذا الجزء على الأقل. ونحن نعرف أن امرأ القيس شبّ في ديار بني أسد بالقرب من تيماء، وأن عبيد بن الأبرص كان يعاصره، وقد اشتهر بين الرواة بوصفه للمطر وإحسانه فيه. واجتماعهما على هذا الوصف دليل بيّن على صحة ما ينسب إلى امرئ القيس منه.

ومعنى ذلك أن المعلقة تحمل بين ثناياها ما يؤكد نسبها إلى امرئ القيس، وهو يستهلها بقوله:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ * بِسقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ.[1]

ومما ذكرناه يعد رد على المؤلف "طه حسين" لما جاء به من نفي لشعر امرئ القيس وجعله فيه نوع من الاضطراب الإسهاب، ثم نحى المؤلف منحى الأول وشك في لغة امرئ القيس كما شك في شعره، ويرى أن لغته تختلف عن شعره، وعليه نوضح ذلك رد على قاله عن شاعرنا فما يأتي:

اللغة التي روى لنا بها شعر امرئ القيس عدنانية مثل لغة غيره من الشعراء العدنانيين، فإذا كانت كندة قبيلة امرئ القيس على ما رجحنا من القبائل العدنانية فموافقة لغته لشعره ظاهرة، وإذا كانت على ما يراه جمهور النسابين من القبائل القحطانية فإن أسرة امرئ القيس من كندة كانت قد انتقلت إلى نجد، وحكمت على القبائل العدنانية من عهد حسان بن تبع في أوائل القرن الخامس الميلادي (420-425) فعاشت هذه الأسرة بين القبائل العدنانية القرن الخامس كله، قبل أن يظهر شاعرها امرؤ القيس في أوائل القرن السادس، وفي هذه المدة جرت عدة أحداث بالقبائل، وفي تلك المدة من الزمن وكل العوامل التي جرت جعلت من أسرة امرئ القيس الكندية القحطانية في مذهب جمهور النسابين أسرة عدنانية في لغتها وأدبها، وشعرها ونثرها، ولا شيء بعد هذا على رواة شعر امرئ القيس من علمائنا الأولين، ولا يصح أن يطعن عليه من هذه الجهة؛ وقد غفل بعض العلماء العربية من الانجليز عن تلك العوامل وتبعه في الغفلة عنها بعض أدباء عصرنا، وحكم بأن الشعر الذي يروى

[1]- شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص248.

لامرئ القيس مختلف عليه لأنه كان من قحطان وهذا الشعر عدناني اللغة، ونحن قد نعذر في هذا العالم الإنجليزي، ولكننا لا نعذر ذلك الأديب الذي انخدع به وبني ما بني من الأوهام على مذهبه."[1]

إذن ما حمله من فكر والحديث في الشاعر امرؤ القيس عبارة عن أوهام لا تأخذ بعين الاعتبار ليس له أي دليل يوضح ما ألفه على الشاعر.

"وبعد ذلك توجه أيضا المؤلف إلى التشكيك من جديد في قصة خال امرئ القيس (المهلهل مع كليب) وهي قصة البسوس وهذه الحرب التي اتصلت أربعين سنة-فيما يقول القصاص-وأفسدت ما بين القبلتين الأختين بكر وتغلب، وقال أيضا أن كيف لشاعر امرأ القيس لم يذكرها في شعره."[2]

انتقل بنا المؤلف طه حسين من التشكيك في شعر امرؤ القيس إلى الحديث في أصوله من ذلك خاله المهلهل الذي بين لنا ابن قتيبة في كتابه من هو فقال: "هو عدي بن ربيعة أخو كليب التي هاجت بمقتله حرب بكر وتغلب وسمي مهلهلا لأنه هلهل بالشعر، أي أرقه وهو خال امرئ القيس وجد عمر بن كلثوم."[3]

يعد المهلهل خال امرئ القيس وأخو كليب، وجرى بين هذين الاثنين حرب طويلة عريضة كما وضحها لنا المؤلف تدعى حرب البسوس، وعليه ذهب المؤلف إلى التشكيك فيها.

"لا ندري من ذا يقول للمؤلف: إن ما يعزى إلى امرئ القيس أو إلى أي شاعر عربي هو كل ما صنعته قريحته من منظوم، وإذا جمع بعض الرواة منظوم أحد الشعراء فإنما يجمع المقدار الذي انتهى إليه، فمن الجائز أن يكون امرؤ القيس قد أشار في شعر آخر إلى مقتل خاله كليب وبلاء خاله مهلهل والمحن التي أصابت أخواله والمآثر التي كانت لهم، وذهب هذا الشعر مع الرواة الذين قتلوا في حروب

[1]- ينظر: عبد المتعال الصعيدي، **زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدى بن زيد**، مرجع سابق، ص37-38.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص155.

[3]- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، الجزء الأول، دار المعارف، القاهرة، 4 شعبان 1388ه-23 فبراير 1958م، ص297.

الردة أو الفتن أو الفتوح، والمؤلف نفسه يحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: ما بقى لكم من شعر الجاهلية إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير.

وإذا فرضنا أن هذا الشعر الذي بين أيدينا هو كل ما جادت به قريحة امرئ القيس، وجارينا المؤلف في رأيه أن الشاعر لابد أن يأخذ في شعره حروبا لم يشهدها ويذكر فيه مقتل خاله أن قتل وبلاءه أن أبلى، لما ترتب على هذا أثر أكثر من أن تكون رواية أن امرأ القيس ابن أخت المهلهل وكليب رواية باطلة، وطرح هذه الرواية التي تجيء في بعض كتب الأدب أقرب إلى المعقول من طرح هذا الشعر الذي يقول الرواة الثقاة: إنه لامرئ القيس."[1]

هنا الناقد وضح لنا شك المؤلف وفي نفس الوقت رد له وعلى منهجه.

"امرئ القيس قال الشعر وهو غلام بعد أن تلقنه من خاله المهلهل، وجعل يعاشر الصعاليك العرب، وقيل إنه أول من فتح الشعر واستوقف، وبكى الدّمن ووصف ما فيها، وهو أول من شبه الخيل بالعصا، أللقوة، والسباع والظباء، والطير فتتبعه الشعراء وقلدوه."[2]

يعتبر امرئ القيس من أوائل الشعراء الذين استوقفوا وبكوا الدّمن، ويعد من أول من نظم الشعر عند العرب وله ديوان عظيم.

وفي هذا الصدد يرى المؤلف "طه حسين" أن شعر امرأ القيس لا ينتسب إليه ومحمول عليه ومختلف وهو بهذا الطرح يشك في شعره ونسبته إليه، وعليه يدخل في مشقة وعناء لحل هذه المشكلة التي أوقها على الشاعر امرئ القيس.

أقبل المؤلف على المعلقة وذكر أنه لا يعرف قصيدة يظهر فيها التكلف أكثر مما يظهر في هذه القصيدة، وأنه لا يحفل بقصة تعليق هذه القصائد السبع أو العشر، لأنها نشأت في عصر متأخر جدا،

[1]-محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ص255-256.

[2]-أبي عبد الله الحسن بن أحمد الزّوزني، **شرح المعلقات السبع**، لجنة التحقيق في دار العالمية، بيروت، 15ربيع الثاني 1413ه-1992/10/12م، ص ص11-12.

ولا يثبتها شيء في حياة العرب وعنايتهم بآداب، ثم قال فيص144:"ولكننا نلاحظ أن القدماء أنفسهم يشكون في بعض هذه القصيدة فهم يشكون في صحة هذين البيت

ترى بَعَرَ الأرْآمِ في عَرَصاتِها وقيعانها كأنّهُ حَبُّ فُلْفُلِ

كأنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ

وهم يشكون في هذه الأبيات:

وَقِرْبَةِ أقْوامٍ جَعَلْتُ عِصا مها على كاهِلٍ مني ذَلُولٍ مُرَحَّلِ

وسرد لنا المؤلف الثلاثة الأبيات بعدها."[1]

بين لنا الناقد هنا ما جاء به المؤلف طه حسين في كتابه، وهي عملية تشكيكه حول معلقة امرئ القيس بأنها قصيدة تحتوي على التكلف، وأيضا شك في صحة أبياته الشعرية وقال إن القدماء أنفسهم يشكون فيها وعلى أنها منتحلة، لكن أصلها ثابت النسبة لامرئ القيس، وأن حكم المؤلف ومنهجه حول معلقة امرئ القيس لا يقبل بتاتا لأن لشاعرنا القديم فضل وتراث ضخم يتبادله الأجيال ويأخذوا منه.

"ثم بعد ذلك يرى المؤلف أيضا أن راوية القصيدة تحتوي على اختلافات كثيرة، وهذا الاختلاف يتناول الشعر الجاهلي كله. وقد أعطى بذلك للمستشرقين صورة سيئة كاذبة من الشعر الجاهلي، لأنه خيل إليهم بأن الشعر الجاهلي غير منظم ولا خاضع لنظام القوافي والأوزان."[2]

المؤلف هنا جعل الشعر الجاهلي برمته مختلف وغير منظم والوحدة والشخصية الشعرية غير موجودة، وذلك نسبة للاختلافات الواردة في القصيدة، أي نفى كل تعب الرواة والشعراء القدماء في بناء القصيدة الجاهلية والشعر الجاهلي، وعليه المؤلف هنا يعد توجهه هذا خطأ وحكم زائف لا وجود له.

[1]- محمد الخيضر حسين، **نفض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ص256-257.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص157.

"إننا نرى الشعر المنسوب إلى الجاهلية الذي بين أيدينا نتدارسه شعرا خلقيا بالجاهلية نؤخذ منه جميع أوضاع الجاهلية، ونرى أولئك الشعراء مشركين ويهود ونصارى وكل فئة شعرها تشتم منه رائحة دينها؛ أي أن لكل شعر روايته وعقيدته ويختلفون من حيث نظم أشعارهم وترتيبها فلا يجب أن يكون فيه تشابه، لأن ذلك يعد انتحالا من شاعر إلى شاعر، وأن كل هذه الافتراضات جائزة، فيبقى علينا النظر في كيفية نظم هذا الشعر المنسوب إلى الجاهلية، فليخبرنا "مرغليوث" أو "طه حسين" من ذا الذي قام بهذا العمل كله بعد الإسلام، ومن الذي نظم هذه الألوف من القصائد وألقى عليها هذه المسحة مسحة الجاهلية حتى خفي أمر إحداثها بعد الإسلام حتى على أعلم علماء اللغة، ومن رتبها هذا الترتيب وطبقها هذا التطبيق على الرجال والحوادث والأزمنة والأمكنة، فإن هذه القصائد متعلقة بوقائع شهيرة وبرجال معروفين وبأنساب متسلسلة وهي ذات علامات متطابقة، حتى أن قسما من تاريخ الجاهلية مأخوذ منها."[1]

كان للقصيدة الجاهلية لمستها ومسحتها الجاهلية معروفة عليها ومثلت واقعهم وأحداثهم التي عاشوها آنذاك، وبذلك تختلف عندهم القصائد ونظمها من شاعر إلى شاعر، لكنها كانت مرتبة ومنظم على أكمل وجه ولا خلل فيها، وهذا يعد ردا على من شكك في صحتها وقيامها.

"مظاهر المحافظة عن القصيدة العربية عندهم تتمثل في افتتاح القصيدة بوصف الأطلال والنسيب، ووصف ارتحال الأحباب ونزولهم في المنازل المختلفة، والتعبير عن الوجد بهم والحنين إليهم، وقد لزم ذلك كله القصيدة العربية في عصور الأدب، واستعمله الشاعر حقيقة ومجازا، وأخذه الخلف عن السلف، وهذه الخاصة بثت في القصيدة عناصر التماسك والترابط، وأقامت شخصية الشاعر على أساس مكين من الماضي البعيد."[2]

[1]- أمير شكيب أرسلان، تحقيق محمد العبدة، **الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبة**، مرجع سابق، ص35-49.

[2]-ينظر: محمد صبري الأشتر، **العصر الجاهلي الأدب والنصوص والمعلقات**، مرجع سابق، ص494.

تميزت القصيدة العربية الجاهلية بمظاهر متعدد منها افتتاحها بوصف الأطلال والنسب، وترحال والتعبير عن الوجدان، وهذه العناصر البنائية للقصيدة هي التي أبدع بها الشاعر الجاهلي آنذاك وشكل لنا شعر منظم مرتب ينتقل من جيل إلى جيل حتى لحق إلينا.

"ورغم تلك الاجتهادات التي آتى بها الشعراء بملكتهم الفنية وإبداعهم، يذهب بعض المؤلفين الأدباء إلى التشكيك في شعرهم منهم "طه حسين" الذي يرى أن جل الشعر الجاهلي منتحل، فأما الشعر الإسلامي هو الصحيح في نسبته، وقال بأنه يتحدى أي ناقد يعبث به، وأن وحدة القصيدة فيه بينة، وأخذ العيب كله في الشعر الجاهلي وأنه لا يصلح أن يكون نموذجا للشعر العربي وإما يصلح إلا لعبث القصاص."[1]

كما وضح لنا محمد هاشم عطية نسبة الشعر عند الشعراء القدماء فيقول: "ويرى المترجم أن في ذكر الشعراء الإسلاميين كجرير وطبقته لأولئك القدماء دليلا آخر على صحة أشعارهم، ويقرر أنه من غير المعقول أن تكون هذه الطبقة الإسلامية هي مبدأ الشعر العربي الصحيح وأنهم نسجوه في تلك الأوزان والقوافي، وفي هذه المعاني والأغراض على غير مثال سابق، ويكون من التحكم البعيد أن يتهم الشعر القديم وحده، ولا يتهم الشعر الإسلامي مع أن طريق النقل عن الطبقتين واحدة وهي الرواية، وأن هذه الآثار الأدبية من وثنية وإسلامية دونت كلها تقريبا في وقت واحد. وأن العلماء من المسلمين نظروا إلى الشعر القديم بمثل العناية التي كانوا ينظرون بها إلى القرآن والحديث لأنهم كانوا يعتبرون هذه الثلاثة أهم المراجع التي اعتمدوا عليها عند نهوضهم لتدوين اللغة وجمعها."[2]

للشعر الجاهلي تاريخ عظيم وهو صحيح النسبة لشعرائه الذين آتوا به، كما كان للشعر الإسلامي مبدأ الشعر العربي الصحيح. وتعد كل من الأشعار الجاهلية أو الإسلامية نموذجا للشعر العربي وعليه فلا يجب اتهام الشعر الجاهلي ونفي وجوده.

[1]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص157.

[2]- ينظر: محمد هاشم عطية، **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص302.

يرى أيضا المؤلف في أن بعض الأبيات "امرئ القيس" قلقان في القصيدة وهما:"

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأنْواعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلـــي

فَقُلْتُ لَهُ لما تَمَطّى بصلبه وأردَف أعجازاً وناءَ بكلْكلِ

والبيت الأخير هذا:

ألا أيّها اللّيلُ الطّويلُ ألا انْجَلي بصُبْحٍ وما الإصْباحَ مِنك بأمثَلِ

وأنّ هذان البيتان أشبه بتكلف المشطّر والمخمس منهما بأي شيء آخر."[1]

يعتبر الشاعر امرئ القيس هو أول من أجاد وصف الليل، وأول من جود الاستعارة، وجعل الجماد كائنا حيّا، وخلع عليه من نعوت الأحياء ما تفتضيه إجادة التشبيه كقوله:"

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأنْواعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلـــي

فقلت له لما تمطـــى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجـــلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فقد استعار لليل سدولا أرخاها، وصلبا يمتطى به، وأعجازا يردفها، وكلكلا ينوء به، وخاطبه مخاطبة الحي."[2]

عرف امرئ القيس بأسلوبه المتميز ولغته الفذة وكان شاعرا ذاتيا يظهر أحاسيسه ومشاعره من خلال شعره، وأن الشعراء من بعده أخذوا عليه وأدهشوا بأسلوبه وشعره ولا يرون عليه أي زيف أو قلقان إلا المؤلف طه حسين الذي يرى هذا الشيء في شعره.

[1]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص158.

[2]- أحمد سليم الجندي، **امرؤ القيس**، مؤسسة هنداوي، د.ط، د.ت، ص50.

"كان الدكتور طه حسين قد غلا في شكه حتى بلغ ذلك الحدّ فلأنه وقف من الشعر الجاهلي موقفا قام على الشك، ودرس هذا الشعر متأثرا بفكرة سابقة أخذها عن القدماء وعن المحدثين والمستشرقين".[1]

قد وقف المؤلف على شعر الجاهلي موقفا مشحونا بشك وذلك من خلال ما حمله من أفكار سابقة.

وعند فرغنا من هذا الشعر الذي لا نكاد نختلف بأنه دخيل في القصيدة نذهب إلى قصيدة امرئ القيس وأجزائها الأولى وقد "بدأها الشاعر بما عده الأدباء بحق أجود مطالع الشعر الجاهلي جملة، وضربوا بحسنه المثل فقالوا (أحسن من قفا نبك؟) وإن كانوا يريدون القصيدة كلها، وقد جمع في شطر هذا المطلع بين أشياء عدها الناس من أولياته، لأنه وقف واستوقف، وبكى وبكيا معه، وذكر الحبيب والمنزل، ثم جعل يذكر حبائبه ويصفهن بالطيب والنعمة في عذوبة ورشاقة، ويتحدث عن قصته معهن يوم الغدير، ويرجح أنه نظم قصيدته بسبب هذه القصة، وصل إلى وصف الدبيب والاستهتار في الحب، والتعرض للهلكة، ثم انتحى نحوا آخر في وصف الليل، ووصف الفرس، بماهو فيه أول بالإجماع، ثم وصف البرق والمطر، الطيور-وهي المكاكي- من شدة سروهن بصفاء السماء بعد المطر الذي غرقت في أقاصيه السباع، وكل هذا مفرغ في ذوب من ماء العربية بين الجزالة والعذوبة، تستطيع بعد ذلك أن تحكم بهما على هذه المعلقة بأنها أجلّ أثر تاريخي لتلك الفصاحة العربية في العصر الجاهلي، المثال الذي احتذى عليه الشعراء بعده، وجعلوه به رئيس فحولهم والمقدم عليهم غير مدافع".[2]

تعد قصيدة امرئ القيس من أجود الشعر الجاهلي، وقد قسمها إلى ثلاث أشطر أولها بكى واستوقف على الديار، والثاني ذكر الحبيب والمنزل وقصته مع أحبائه يوم الغدير، ثم وصفه طول الليل والفرس ووصف البرق والمطر.

[1]- محمد صبري الأشتر، **العصر الجاهلي الأدب والنصوص المعلقات**، مرجع سابق، ص ص107-108.

[2]- ينظر: محمد هاشم عطية، **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص130.

وعليه يرى المؤلف هنا "بأن وصف اللهو مع العذارى وما فيه من فحش أشبه بأن يكون من انتحال الفرزدق منه بأن يكون جاهليا".[1]

يذهب المؤلف طه حسين إلى أن اللهو مع العذاري من انتحال الفرزدق وعلى ذلك نوضح حديثه بما يقوله: "محمد بن سلام: حدثني رواية للفرزدق أنه لم ير رجلا كان أروى لأحاديث امرئ القيس وأشعاره من الفرزدق، وهو أبو شفقل، لأن امرأ القيس كان صاحب عنه شرحبيل قبل الكلاب، حتى قتل شرحبيل بن الحرث، وكان مسترجعا في بنى درام رهط الفرزدق، ثم قال الفرزدق: أتصابنا بالبصرة مطر جود، فلما أصبحت ركبت بغلة لي وصرت إلى المربد، فإذا آثار دواب قد خرجت إلى ناحية البرية، فظننت أنهم قوم قد إلى النزهة، وهم خلقاء أن يكون معهم سفرة."[2]

يرى المؤلف "طه حسين" في هذا الصدد أن شعر امرئ القيس أشبه بشعر الفرزدق وأن الفرزدق انتحل من امرأ القيس، لأنه جل شعره وأبياتهم تحتوي على فحش واللهو العذارى لكن هذا مجرد رأي يحمله المؤلف بدون دليل على ذلك، لأن الفرزدق كان رواية امرئ القيس وليس منتحلا لشعره.

"وصف امرئ القيس لخليلته وزيارتها إياها وقصص الغرامية كلها أعدها المؤلف أنها تشبه شعر عمر بن ربيعة، وبأن هذا الأخير قد انتحالها عن امرئ القيس وتأثر به، لأن الشاعر امرأ القيس يعد من الشعراء الذين أثروا في الشعراء الذي بعدهم في أنحاء الوصف."[3]

المؤلف يرى أن جل وصف امرؤ القيس وقصصه الغرامية أشبه بشعر عمر بن ربيعة.

كما يرى محمود عباس العقاد أنّ لابن أبى ربيعة "ديوان كبير يشتمل على بضعة آلاف بيت من الشعر كلها في الغزل إلا القليل، وكل غزلها في الحوار والرسائل التي تدور بينه وبين حسان عصره وظريفاته، لكن ستغرب قارئ الديوان أن ينصرف شاعر في جميع شعره إلى هذا الغرض دون غيره، وهو استغراب معقول يرد على كل خاطر للوهلة الأولى، إذا اقتصرنا النظر إلى الديوان وحده وقابلنا

[1]-طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص158.

[2]- ينظر: أحمد شاكر، **ابن قتيبة الشعر والشعراء**، مرجع سابق، ص122-123.

[3]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص159.

بين موضوعاته وموضوعات الشعراء المشهورين في الدواوين الكبيرة، ويعد العصر الذي عاش فيه ابن أبي ربيعة في تلك البيئة كان عصرا غزليا في جميع أطرافه، يشغله الغزل."[1]

يعد عمر ابن أبي ربيعة من الشعراء الذين مارسوا الشعر الغرامي وتمرسوا فيه، ويعد غرض عصره وشغلهم الشاغل، بذلك فلا يعتبر منتحلا عن امرؤ القيس أو متأثر به كما قال المؤلف طه حسين.

كما أيضا يعتبر أنّ "القصص الغرامي الذي نجده في قصيدة امرئ القيس الأخرى (ألا أنعم صباحا أيها الطلل البالي) ففي هذه القصص الفاحش فن ابن أبي ربيعة وروح الفرزدق وعليه يرى المؤلف هنا أن هذا النوع من الغزل إنما أضيف إلى امرأ القيس، وأضافه رواة متأثرين بهاذين الشاعريين الإسلاميين."[2]

يقع تشابه بين شعريين فيدعي المؤلف أن الشعر المعزو إلى المتقدم منحول: نحله بعض من تأثر بالشاعر المتأخر. وإذا قلت: لماذا لا يكون الشاعر المتأخر اقتدى في ذلك الأسلوب أو الفن بالشاعر المتقدم؟ قال لك: لو كان السابق إلى هذا الفن امرؤ القيس لأشار أحد النقاد إلى أن ابن أبي ربيعة تأثر بامرئ القيس وحيث لم يبلغه أن ناقدا أشار إلى هذا التأثر كان القسم الثاني من: (قفا نبك) منحولا: نحله بعض المتأثرين بشعر عمر بن ربيعة.

ويوضح محمد الخضر حسين أنّ "الرواة يتلقون هذا القسم من القصيدة على أنه شعر امرئ القيس، فإذا كان بينه وبين شعر عمر بن أبي ربيعة تشابه واضح فمن مقتضيات هذا أن يعتقدوا أن امرأ القيس سابق إلى هذا الفن، وإذا أدركوا أن امرأ القيس سابق إلى هذا الفن فعدم إشارتهم إلى تأثيره في عمر بن أبي ربيعة إنما يكون لذهول ونحوه ولا يدل على أنه انتحل في عهد ابن أبي ربيعة أو من بعده."[3]

---

[1]- عباس محمود العقاد، **عمر بن أبي ربيعة، شاعر الغزل**، دار المعارف، ط2 مصر، 1955م، ط3، 1964م، ص15.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص 160.

[3]- ينظر: محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص 263.

اعتبر المؤلف طه حسين أن شعر امرئ القيس يشبه شعر ابن أبي ربيعة، وأنه منتحل من طرف الرواة المتأثرون بالشاعرين الإسلاميين، لكننا لم نجد أي ناقد ذكر هذا في كتابه أو الرواة إلا المؤلف طه حسين يرى هذا التشابه.

كما يلحظ عبد المتعال الصعيدي أنّ "شعر امرأ القيس في لهو حياته متعدد الأغراض وكانت حياته خالية من الهموم والمغموم، وبيئته حرة لا تتقيد بعرف ولا دين، ينقلب بين ري نجد وأوديتها وتضحك له مرة غياضها، وتعبس له تارة بواديها، فتتأثر بذلك ألفاظه ومعانيه في شعره، ولا يجاوز في ذلك من أغراض الشعر ما تقتضيه هذه الحياة اللاهية، ومن بين هذه الأغراض التي أتسمى بها الوصف وكان يتعلق بالأمور التي كان يعني بها في شبابه، فكان يصف مجالس الإنس والشراب، ويصف الخيل والتوق وبقر الوحش والنعام والحمر وغير ذلك، ووصف البرق أو السحاب أو المطر أو نحو ذلك من مشاهد بلاده وهو هنا يمثل نفسه وعدم وقوفها عند شيء واحد من عشق ونحوه."[1]

يتمثل غرض الطاغي عند الشاعر امرؤ القيس هو الوصف ولاسيما وصف الفرس والصيد، وهنا المؤلف وقف موقف التردد ورأى أن امرأ القيس كان قد نبغ في وصف الخيل والصيد والسيل والمطر، وقال بأنه يشك أعظم الشك في أن يكون قد قال هذه الأبيات التي يرويها الرواة، وأن هذا الوصف الموجود في المعلقة فيه شيء من ريح امرأ القيس، بل شعر محدث أضفوه إليه.

كما يؤكد محمد الخضر حسين صحة نسب امرؤ القيس وذلك في قوله: " إن امرؤ القيس يمني نشأ في نجد، فقال المؤلف لهم: هو يمني لم ينشأ في نجد، قالوا: امرؤ القيس أجاد في وصف الخيل ونحوها، فقال لهم: أجاد في وصف هذه الأشياء ولكن في شعر غير هذا الذي تضيفونه إليه، ولا ندري لماذا اعترف بأن امرأ القيس يجيد وصف الخيل والصيد في حال أن الرواة لا يستندون في هذا إلا إلى الشعر الذي قال عنه: إنه منحول؟ وإذا أنكر هذا الشعر الذي تناقله الرواة لم يكن مضطرا إلى

[1]- ينظر: عبد المتعال الصعيدي، **زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد**، مرجع سابق، ص52-53.

هذا الاعتراف الذي لا يزيد حديثه إلا خيالا والذي أوقفه موقفا جعله يقول: إن هذا الشعر فيه شيء من ريح امرئ القيس ليس غير؟"[1]

ما نراه هنا أن المؤلف متناقض مع نفسه نكر شعر امرأ القيس وشكك فيه وفي نفس الوقت يتعرف بإجادته الوصف بأن هذا الشعر الأخير الذي يحتوي غرض الوصف فيه ريح امرئ القيس.

ويؤكد عبد الرحمان المصطاوي قصة امرئ القيس مع علقمة في قوله: "عندما تزوج امرؤ القيس أم جندب، جاء ذات يوم علقمة بن عبده التميميّ، وهو قاعد في الخيمة، وخلفه أو جندب، فتذاكر الشعر؛ فقال امرؤ القيس، أنا أشعر منك، وقال علقمة: بل أنا أشعر منك. فقال: قل وأقول، وتحاكما إلى أم جندب، فقال امرؤ القيس قصيدته هذه ووصف الفراق وناقته وفرسه، وقال علقمة قصيدة مطلعها:

ذَهبتَ مِنَ الهِجرانِ في غـــيرِ مَذهَب وَلَم يَكُ حقّاً كلُّ هَذا التَـــجَنُّبُ

وعارض امرأ القيس في وصف ناقته وفرسه، فلما فرغ فضلته أم جندب على زوجها امرئ القيس، فقال لها: بم فضلته عليّ؟ قالت: فرس ابن عبده أجود من فرسك قال: وبماذا؟ قالت: سمعتك زجرت وضربت وحركت وهو قولك:

فَلِلساقِ أُلهوبٌ وَلِلسَوطِ دُرَّة وَلِلزَجرِ مِنهُ وَقعُ أَهوَجَ مُتعَبِ

وأدرك فرس علقمة ثانيا عن عنانه وهو قوله:

وأقبل يهوي، ثانياً من عنانه يمرُّ كمرِّ الرائحِ المتحلِّبِ

فغضب امرؤ القيس على أم جندب وطلقها، وقيل إن علقمة خلف عليها بعده، فسمي "علقمة الفحل".

خَليلَيَّ مُرّا بي عَلى أُمِّ جُندَبِ نُقَضِّ لُباناتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ."[2]

[1]- محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص264.

[2]- عبد الرحمان المصطاوي، **ديوان امرؤ القيس**، دار المعارف، ط2، بيروت، لبنان، 1425ه-2004م، ص ص73-74.

تمثلت قصة أم جندب في تنازع امرؤ القيس بن حجر مع علقمة بن عبده في أيهما أشعر، فتذاكرا الشعر وتحاكما إلى أم جندب فقال كل منهما قصيدته وفيها فصلت أم جندب علقمة على امرؤ القيس زوجها وغضب بعد ذلك زوجها وطلقها وخلف عليها بعده علقمة الفحل.

وعلى هذه القصة قد ذهب المؤلف "طه حسين" على أن هذه القصة والقصيدة البائية التي قالها امرؤ القيس تعد منتحلتا انتحالا وليست من الجاهلية بشيء وهنا وقع بشكه في مشكلة ورأي لا أساس منه.

"ثم تحدث أيضا عن علقمة الفحل وقال عنه بأن الرواة لم يذكرون عنه شيء إلا مفاخرته لامرئ القيس ومدحه ملكا من ملوك غسان ببائيته التي مطلعها:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

وكان يناشد قريش بأنه مات بعد ظهور الإسلام أي في عصر متأخر بالقياس إلى امرؤ القيس."[1]

يقول الرواة: إن امرأ القيس كان معاصرا لعلقمه، وإنه كان في منتصف المائة السادسة عائشا، والمؤلف ينكر هذه المعاصرة ويرى أنه عاش قبل القرن السادس أو قبل القرن الخامس أيضا.

ويرى محمد الخضر حسين في ذلك "أن شأن الباحث المستقيم ألا ينكر ما يقوله الرواة حتى يقدم بين يدي إنكاره بينة، والمؤلف لا يرغب في أن يأتي ببينة، كأنه لا يحتفل بتاريخ هذا الأدب إلى حد أن ينكر ما تتوار عليه الروايات؛"[2]أي هنا يجب على الدكتور "طه حسين" ألا ينكر ما يقوله الرواة وينفيه فنقد السابق موجها له لا لغيره.

[1]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص162.

[2]-ينظر: محمد الخضر محمد، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص266

"وعند الانتهاء من شعر امرؤ القيس وشخصيته التفت المؤلف إلى عبيد وشعره نفس الموقف الذي وقفه مع امرؤ القيس وشعره، وقال إن الرواة لا يحدثوننا عن عبيد بشيء يقبل التصديق."[1]

من خلال ذلك بين لنا أحمد موسى الحاسم في كتابه أن صاحب الأغاني "يروي عن أبي عمرو الشيباني أن اسم الشاعر ونسبه هو "عبيد بن الأبرص" بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة...الخ. ويخصص له شيطان شعر يدعى هبيدا، وتقول الروايات أن عبيدا قد قتل على يد المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة في يوم بؤس."[2]

تحدث الرواة عن عبيد ابن الأبرص لكن بتعسف، وهذا ما جعل المؤلف يشكك فيه.

كما يبين لنا أيضا أحمد موسى الحاسم أنّ "شخصية عبيدة بن الأبرص مستقلة متميزة لها كيانها في المجتمع الذي عاشت فيه، شخصية يحترمها الناس ويقدرها وكانت شفاعته لقومه عند حجر بن الحارث واستجابة حجر لها دليل على ما كان للشاعر من شأن عند أمير كندة."[3]

يرى المؤلف في هذا أن أخبار الشاعر عبيدة لا تعطينا من شخصيته شيء ولا تبعث الاطمئنان، لكنه ليس على حق بل كان لشخصيته مكانة مميزة في المجتمع وجيدة رغم قلة أخباره.

شعر عبيد ابن الأبرص تكمن قيمته من ناحتين:" الفنية والتاريخية؛ الناحية الفنية تتمثل في أنّه ينتمي إلى المرحلة الأولى من الشعر الجاهلي، ويمثل شعره مرحلة انتقال بين الشعر البادئ الذي لم تستو له القيم الفنية، وبين الشعر الناضج الذي نعرفه، أما الناحية التاريخية فلأنه يلقي الضوء على كثير من الأحداث التاريخية الواقعة في شبه الجزيرة العربية في عصره."[4]

---

[1]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص163.

[2]- أحمد موسى الحاسم، **عبيد بن الأبرص، دراسة فنية**، - ينظر: دار الكنوز الأدبية، ط1، لبنان، 1997م، ص ص31-38.

[3]- نفس المرجع، ص41.

[4]- أحمد عبد الباسط، **مجلة التراث عبيد ابن الأبرص بين تحقيقين**، العدد الثامن، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، أوت 2013، ص01-02.

يعد شعر عبيد ابن الأبرص من الشعر الجاهلي ويمثل نور الأحداث التاريخية وضيائها.

"وعلى الرغم من ذلك قل النحاة واللغويين الاستشهاد بشعره، ويرجع هذا السبب إلى الاضطراب الحاصل في شعره، وما شاع في بعضه من غموض، ولعل ذلك ما كان يعنيه ابن سلام الجمحي في قوله عنه: "وشعره مضطرب ذاهب، وهذا ما جعل أبا زيد القرشي لم يذكره في الطبقة الأولى مع أصحاب المعلقات، ويمكن ملاحظة ذلك الاضطراب-على سبيل المثال-في قصيدته المشهورة التي مطلعها: * **أَقفَرَ مِن أَهلِهِ مَحُلوبُ** *"[1].

يعتبر شعر عبيد مضطرب وغامض وقليل كما حدثنا ابن سلام وأنه لا يوجد إلا قصائد عشر تذكره، أما الباقي من شعر لا يدري وأن الرواة لم يحفظوا له الكثير سوى تلك القصيدة التي بين أيدينا.

"ثم يرى المؤلف "طه حسين" في موقف آخر أن القصيدة التي قدم مطلعها أنها منتحلة، وحسبك أنه يثبت فيها وحدانية الله وعلمه على نحو ما يثبتها القرآن فيقول:

والله ليس له شريك غلام ما أخفت القلوب."[2]

يرى المؤلف طه حسين من خلال ما سبق أن قصيدة عبيد ابن الأبرص أنها منتحلة ويثبت فيها وحدانية الله.

وبالتالي يرى الباحث أحمد موس الحاسم "وإذا ما أجلنا النظر في معلقته وجدنا فيها ما يدل على رقي الفكر الديني عند هذا الشاعر وشذوذه عن القبيلة وما أنذر ما شد عبيد عنها فهو ابنها البار في جميع الأحوال كما رأينها يقول في مخلع البسيط:

مَنْ يَسْأَلِ الناسَ يَحْرِمُوه وسائلُ الله لا يَخِيبُ

[1]- أحمد عبد الباسط، **مجلة التراث عبيد ابن الأبرص بين تحقيقين**، مرجع سابق، ص03.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص163.

يرى الباحث أيضا أنّه "مهما يكن من أمر صحة نسب الأبيات إلى الشاعر إلا أننا نرى في الإشارات الدينية التي وردة عند عبيد دليلا على ما كان يعانيه الجاهلي من حيرة وقلق روحي يلح ويضغط عليه: ويعد الإسلام الحنيف ذلك السبيل والطريق."[1]

هنا الشاعر عبيدة كان عندما تضغط عليه الحياة ويقع في حيرة وقلق فيكون سبيله الوحيد هو الدين الحنيف، أما رأي المؤلف فيه يعد مجرد كلام وتفا هات لا دليل ولا برهان لها.

ولتأكيد شخصية عبيد ابن الأبرص وعلاقته وضحنا من حلال ذلك في قول أشرف أحمد عررة: "لعبيد ابن الأبرص علاقة بحجر بن الحارث ملك كندة تمثلت في أن حجر بن الحارث قد تملك على بني أسد، فنادمه عبيد، ثم تغير عليه حجر، وتوعده في شيء بلغه عنه، ثم استصلحه، فأنشده عبيد قصيدة مطلعها:

طافَ الخَــيالُ عَلَيــنا لَيلَةَ الوادي لِآلِ أَســماءَ لَم يُــلمِم لِمــيــعاد

ولما تمنع بنو أسد عند دفع الإتاوة إلى حجر، وقتلوا رسله، سار إليهم بجيشه، فأخذ سراتهم وجعل يقتلهم بالعصا، فسمّوا عبيد العصا، وسجن منهم عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي، وعبيد بن الأبرص، وهما من سادة بني أسد، ثم أباح أموالهم، وأقسم ألا يساكنهم في بلد وصيّرهم إلى تهامة.

وعند سماع حجر لمقالته عبيد رق لها وبعث في أثرهم، فأقبلوا، ولم يمض وقت طويل حتى ثاروا عليه وقتلوه، فهدّدهم ابنه امرئ القيس بالثأر منهم فأجابه عبيد بقصيدة يفتخر فيها بقومه، ويتحداه قائلا:

يا ذا المُخَوِّفَنا بِقَتــ * ــلِ أَبيهِ إِذلالًا وَحَينا

وعليه يرى الدكتور طه حسين في هذه القصيدة أنها تحتوي على ضعف وسهولة في اللفظ والأسلوب لا يمكنها أن تضاف إلى شاعر قديم، وأنها من عمل القصاص، وأن الشعر هذا كله يعتبر

[1]-ينظر: أحمد موسى الجاسم، **عبيد بن الأبرص دراسة فنية**، مرجع سابق، ص127-128

من أثر التنافس بين العصبية اليمنية والمضرية، لكن قصيدة عبيدة هاته التي قالها يفتخر فيها قوم امرئ القيس فيها أخذ المؤلف موقف من حيث أساليبها وألفاظها، وأنها منتحلة كشعر امرئ القيس، لكن هذا غير صحيح بأن معالجتهما لنفس المواضيع لا يعد انتحالا بل تأكيد لصحة قصائدهما.

وقد رأيت من هذه الإلمامة القصيرة بهؤلاء الشعراء الثلاثة:"(امرئ القيس وعبيد وعلقمة) أن الصحيح من شعرهم لا يكاد يذكر، وأن الكثرة المطلقة من هذا الشعر مصنوعة لا تثبت شيئا ولا تنفي شيئا بالقياس إلى العصر الجاهلي."[1]

المؤلف من خلال هذا يرى أن الشعراء الثلاثة لا يوجد لهم شعر كثير يذكر ولا ينسب إلى العصر الجاهلي، أنفى لهم كل تلك الجهود والأعمال الشعرية التي خلفوها في العصر القديم.

ويرى المؤلف طه حسين أيضا أن لعلقمة قصدتين اثنين تتمثل في:"

الأولى: ***طحا بك قلب للحسان طروب***

والثانية: ***هل ما علمت وما استودعت مكتوم***

فقد يمكن أن يكون لهاتين القصيدتين نصيب من الصحة مع شيء من التحفظ في بعض أبيات القصيدة الثانية، ولكن صحة القصيدتين لا تمس رأينا في الشعر الجاهلي، ويرى أن علقمة متأخر العصر، وأنه مات بعد ظهور الإسلام، وكان يأتي قريشا ويعرض عليها شعره."[2]

ما ذهب إليه المؤلف في الحديث عن قصائد علقمة تعد ضرب من الشكوك وعلى ذلك وضح لنا محمد الخضر حسين في كتابه بقوله:"في أن القاعدة التي يقيم عليها المؤلف رأيه في صحة نسبة الشعر الجاهلي إلى قائله أنّ يموت الشاعر بعد ظهور الإسلام، وأن يأتي قريشا ويعرض عليها شعره، فالأعشى مات بعد ظهور الإسلام، وكان يأتي كل سنة سوق عكاظ، وذلك معنى إتيانه قريشا وعرض شعره عليها، والشماخ مات بعد ظهور الإسلام بل اعتنق الإسلام، وقد كان بالطبيعة ينشد

[1]- محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص270.

[2]- طه حسين، **الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص125.

قريشا شعره، فلماذا لم يستثن المؤلف شيئا من شعرهما وعدّهما في صدر كتابه ممن لا يعتمد على شعرهم في درس الحياة الجاهلية؟

يقول المؤلف: وصحة هاتين القصدتين لا تمس رأينا في الشعر الجاهلي. ولعله نسى-وأمثاله لا ينسون كثيرا-ما كتبه تحت عنوان الشعر واللهجات حين قال: "من المعقول جدا أن تكون لكل قبيلة من هذه القبائل العدنانية لغتها ولهجتها ومذهبها في الكلام، وأن يظهر اختلاف اللغات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قيل قبل أن يفرض القرآن على العرب لغة واحدة ولهجات متقاربة." ومن المعروف أن علقمة من بني تميم، والقصيدتان اللتان استثناهما ورضي بقبولهما لا يخرجان عن هذه اللغة الأدبية التي يسميها لغة قريش."[1]

كتاب نقض الشعر الجاهلي هنا قد وضح لنا الناقد فيه موقف المؤلف "طه حسين"، وبأنه بنى قاعدة غير صحيحة أقام عليها الشعر وصحته، وذلك من خلال ما عرضه عن الشاعر وحمله محمل الشك ونسى أن جل الشعراء ماتوا بعد ظهور الإسلام ولكن شعرهم روي بعدهم في الأسواق؛ أي أتوا بشعرهم الرواة آنذاك لإحياء وجودهم من جديد. وأيضا شكك في صحة القصدتين ونسى ما كتبه قبل. أي فهو يعد متناقض مع نفسه فيما قاله، ويعتبر شكه لا أساس منه.

بعد ما أتم المؤلف من الشاعر امرؤ القيس وما تناوله عن حياته وشعره انتقل بنا إلى إضافة الحديث عن "شعراء آخرين ليؤكد شكه هذا منهم عمرو بن قميئة والمهلهل وجليلة حيث يقول طه حسين أن حياتهم ليست أوضح ولا أثبت من حياة امرئ القيس وعبيد وأن شعرهما ليس أصح ولا أصدق من شعر امرئ القيس وعبيد."[2]

مبتدئا بعمرو بن قميئة ملاحظا أنه لديه شبه مع امرئ القيس في الاسم الذي لقب به امرئ القيس "الملك الضّليل"، "والذي فسره باسم آخر وهو الملك المجهول الذي لا يعرف عنه شيء والذي

[1]- محمد الخضر حسين، **نقض كتاب الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ص 270-271.

[2]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص 167.

في رأيه ضاع كما ضاع امرئ القيس من الذاكرة و لم يعرف من أمره شيء إلا اسم هذا ووضعت له قصة كما وضعت لكل من صاحبيه وحمل عليه شعر كما حمل على صاحبيه والشعر أيضا."[1]

وحجته هنا أقوال الرواة بعد الإسلام في أنه قد رحل مع امرئ القيس في رحلة إلى الروم ومات فيها معه. وقد أكد صحة هذه الرحلة أي رحلته مع امرئ القيس ابن قتيبة قائلا: "و لم يزل ينتقل من قوم إلى قوم بجبلي طيء، ثم سمت به نفسه إلى ملك الروم فأتى السموأل بن عادياء اليهودي ملكتيماء وهي مدينة بين الشام والحجاز فاستودعه مائة درع وسلاحا كثيرا ثم سار معه عمرو بن قميئة، أحد بني قيس بن ثعلب."[2]

ثم أتى المؤلف بقصة عمروا بن قميئة وقصيدته التي يعتذر بها لعمه و قال في ص158" ونظن أن النظر في هذه القصة وفي هذه القصيدة يكفي ليقتنع القارئ بأننا أمام شئ منتحل متكلف لاحظ له من صدق والقصيدة يقول فيها:

خليليّ لا تستعجلا أَنْ تَزوّدا وأَمْ تَجْمَعَا شَمْلِي وتَنْتظِراً غَدَاً

فما لَبَثٌ يَوْماً بِسَابِقِ مَغْنَم ولا سُرْعَتِي يَوْماً بِسَابِقَةِ الرَدىّ

وإن تنظرا في اليوم أقض لوبانة وتستوجب منَا على وتُحمدا"[3]

فهو يرى من خلال هذه الأبيات انتحالا لما فيها من سهولة ولين مع أنه ليس مبررا لشكه هذا فلماذا لا يمكن أن يكون له هذا الأسلوب اللين والسهل.

أما المهلهل فأمره لا يختلف عن ما قبله"فهو يعيد في المهلهل كما أعاد فيمن قبله وسيعيد فيمن بعده، الأسباب نفسها مع قليل من النقص أو الزيادة، فهو يشك في مهلهل لأسباب التالية: غموض

[1]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص 167.

[2]- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد محمد شاكرة، دار المعرفة، القاهرة، مرجع سابق، ص118.

[3]- ينظر: محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص325.

شخصيته، و اضطراب شعره واختلاطه واستقامة وزن شعره واطراد قافيته، وملائمته قواعد النحو مع أنه أقدم شعر قالته العرب وسهولة لفظه ولينه وإسفافه."[1]

ويرد على هذا الرأي محمد مندور في قوله:"وهذا أمر طبيعي في حالة البداوة التي كانت تسيطر على العرب، والرجل الفطري يستطيع بإحساسه أن يخلق أجمل الشعر، ويصوغه من مشاعره ومعطيات حواسه وهو ليس في حاجة إلى عقل مكون ناضج يرى جوانب الأشياء كلها ولا يحكم إلا عن استقصاء أكثر مواتاه له وكثيرا ما يكون أجوده أشده سذاجة."[2]

وما أعاده مما شكك فيه قصة حرب البسوس التي تطرقنا إليها سابقا والتي يعتبر المهلهل فارسها، وقد أكد صحة هذه القصة التي يزعم طه حسين أنها مختلقة العديد منهم شوقي ضيف حيث يقول:"اشتهر كذالك جماعة من الفرسان الذين أظهروا بطولة نادرة في حربهم عليها لخصومهم وأقرانهم...وتلقانا دائما أسمائهم وخاصة في حروبهم الطويلة مثل حرب البسوس وفارسها المهلهل التغلبي، وهو الذي أشعا نيرانها ثأر لأخيه كليب، وشعره يدور في رثاء أخيه وتوعُد قبيلة بكر بما سيتزله بها من هزائم."[3]

غير أنّ طه حسين لا يتفق مع شوقي وغيره من النقاد في صحة هذه الحقيقة حيث" يظن أنه غير ساذج حتى يسلم بما يتحدث به الرواة من أمرها الطويل العريض، ولكنه اعترف بأن خصومة عنيفة كانت بين قبيلتين، وأن هذه الخصومة سفكت فيها الدماء وكثرت فيها القتلة."[4]

فلانتحال عند طه حسين سببه تلك العصبية أو الخصومة وما نتج منها من فوز وخسارة وحتى يكبروا من شأن قبيلة تزيدوا في الشعر من خلال الكذب والتلفيق.

[1]- ناصر الدّين الأسد، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخيّة**، مرجع سابق، ص397.

[2]- محمد مندور، **النقد المنهجي عند العرب**، دار النهضة مصر للطباعة والنشرالقاهرة، 1996، ص17.

[3]- شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص322.

[4]- محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص326.

ففي رأيه" أنّ أسباب هذه الخصومة ومظاهرها وأعراضها وآثارها الأدبية قد ذهبت كلها و لم يبق منها إلا ذكرى ضئيلة تناولها القصاص فاستغلوها، ووجدت بكر وتغلب وربيعة كلها حاجتها في هذا الاستغلال، فهو يستغرب فكيف استطاع العرب بن ربيعة أن يجعلوا لمضر السيادة بالرغم من الحروب القديمة التي كانت بينهم وقد أجاب على هذا في قوله:"فزعموا أنهم كانوا من سادة العرب من عدنان في الجاهلية وكان منهم الملوك والسادة، وكانوا منهم الذين ذادوا القحطانية عن ولد عدنان..."[1]

أيّ أنهم حتى تكون لهم السيادة كذب الرواة في بعض الحقائق، وأضافوا ما هو غير موجود لحياة مضر الإسلامية لهذا انتحلوا الشعر.

"كما ذكر المؤلف قول ابن سلام: أن العرب كانت ترى أن مهلهلا كان يتكثر ويدعي في شعره، وزعم أن مهلهلا لم يتكثر أو لم يدع إنما تكثرت تغلب في الإسلام وادعت وأضاف على ذالك أنها لم تكتف بهذا الانتحال بل زعمت أنه أول من قصد القصيدة وأطال الشعر وأن اضطراب شعره واختلاطه أدى إلى تسميته بالمهلهل لأنه هلهل الشعر."[2]

إذن المؤلف طه حسين نجده هنا "ينفي كل ذالك وينفي صحة نسبته إلى المهلهل مع أن الباحثون" قد أجمعوا في تاريخ الشعر الجاهلي أنه يرجع إلى بضعة قرون قبل المبعث، وهو يقولون بصحة مآخذ الشعر الجاهلي الحديث من المهلهل بن ربيعة إلى زهير بن أبي سلمى فإنه قيل في زمن كان فيه الشعر في إبانة وسوق عكاظ في ريعانها والحفاظ والرواة منبثون كأسلاك البرق يدونون وينقلون ويحرصون على ادخار مسموعهم ومحفوظهم والقراءة مألوفة والكتابة معروفة بالشعر بمنزلة يحسد عليها فيختزن اختزان الدر المنضود."[3]

[1]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص 171.

[2]- ينظر: محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ص336 -337.

[3]- محمد لطفي جمعة، **الشهاب الراصد**، مرجع سابق، ص274.

ثم تناول بعد ذالك شعر جليلة امرأة أخيه والذي استغرب فيه أيضا سهولته ولينه، بعدما فرغ من امرئ القيس ومهلهل وغيره مقارنا بينه وبين الشعر الحديث من خلال أبيات جليلة والتي تقول فيها:

يَا ابْنَةَ الأَقْوَامِ إِنْ شِئْتِ فَلا تَعْجَلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي
فَإِذَا أَنْتِ تَبَيَّنْتِ الَّذِي يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلُومِي واعْذُلِي

قائلا في هذه الأبيات عن الأسجاع:"ما نظن أن أحدا يرتاب في أنها مصنوعة متكلفة، ونعتقد أن قراءة هذا الشعر الذي رويناه تكفي لضيف في غير مشقة مهلهلا وامرأة أخيه إلى ابن أخته امرئ القيس."[1]

فهنا إذا تجده يرفض قصيدة خليلة وينبذها؛ وهذا كله لأنه "يقرأ للخنساء ولليلى الأخيلية شعرا فيه من القوة في المتن والتي لأعطته صورة للمرأة العربية البدوية، ولكنا نظن أنه أساء الحكم هنا كما أساء هناك فشعر جليلة هذا من الشعر النادر الحي الذي يبتهج به قارئ الأدب، ثم هو ليس أسهل ولا ألين من بعض شعر الخنساء كداليتها المشهورة التي تبتدئ بـــــ:

أَعَيْنَيّ جودا وَلا تَجـــمـــُدا أَلا تَبكِيانِ لِصَخرِ النَدى تبكيان
أَلاَ تَبكيانِ الجَريءَ الجَمـــيل أَلا تَبكـــيـــانِ الفَـــتَى الســـَّيِّد
طَويلَ النجادِ رَفيعَ العِـــمادِ قـــد ســـادَ عَـــشيـــرَتَهُ أَمـــرَد

وإذا كان بينهما اختلاف فيكمن إلا في المقام والشخصية، فالخنساء تخاطب نفسها وتبكي أخاها وخليلة أميرة مصابة تخاطب نفسها لقتل أخوها وزوجها واتهمتها أخت زوجها بالشماتة فهي تدافع عن نفسها بأدب ووقار:

يَا ابْنَةَ الأَقْوَامِ إِنْ شِئْتِ فَلا تَعْجَلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي[2]

[1]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص ص174-175.

[2]-- ينظر: محمد أحمد الغمراوي، **النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي**، مرجع سابق، ص299.

وبعدما انتهى من امرئ القيس ومن يتصل به من الشعراء وقف على شعراء الجاهلية أنفسهم حتى يثبت لنا شكه هذا في صحة الشعر الجاهلي أو بعضه ومنهم عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وابتدأ بعمرو بن كلثوم مشككا في نسبه وحياته أيضا مدعيا أنها من الأساطير حيث يقول:"وقد أحيط عمر بن كلثوم في مولده ونشأته بل في مولد أمه بطائفة من الأساطير لا يشك أشد الناس سذاجة في أنها لون من ألوان العبث والانتحال."[1]

والسبب أنه شكك في القصة التي رواها الرواة أو تلك التنبؤات التي كانت تأتي مهلهل في أن لأبنته ولدا سيكون له شأن وحتى تلك التنبؤات التي انتقلت إلى ابنته ليلى والتي كانت تخبرها عن ابنها بالأعاجيب بالإضافة إلى قصة مقتله لملك الحيرة وهو عمرو بن هند المشهور حيث يقول طه حسين في ذالك:" أن النص التاريخي الذي يثبت هذه القصة لم يصل إلينا بعد وهل من المعقول أن يقتل ملك الحيرة هذه القتلة ويقف الأمر عند هذا الحد بين آل المنذر وبني تغلب؟...أليس هذا لونا من الأحاديث التي كان يتحدث بها القصاص ويستمدونها من حاجة العرب إلى المفاخرة والتنافس؟."[2]

إذا فطه حسين هنا يشكك أو ينفي صحة هذه القصة ويُرجع سبب اختلاق هذه القصة إلى حاجة الرواة والقصاص وللتنافس مع الخصوم وقد رد على هذا الرأي محمد خضر حسين:"القصة التي حكاها المؤلف جاءت في كتاب الأغاني مروية عن ابن الكلبي عن شرقي بن قطامي، وإذا كان هذا مبلغها من الرواية فهي لا تعدوا أن تكون من الأسمار وأهل العلم لا يدخلون مثل هذا في التاريخ الموثوق به، وقد رواها بعض شراح المعلقات عن أبي عمرو الشيباني أيضا، وهي بعد هذا محتملة لأن تكون واقعة."[3]

كما اتهم طه حسين عمرو بن كلثوم بالإسراف والغلو والتكثر والكذب والتكرار وأتى بأبيات تدل على هذه الصفات منها ما اختلف فيها بعض الرواة في نسبتها إليه والتي مطلعها:

---

[1]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص176.

[2]- ينظر: نفس المصدر، ص ص177-178.

[3]- محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص343.

" أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَـــا

والأخرى مطلعها:

قِفي قَبلَ التَفَرُّقِ يا ظَعينا.

فيرى أن أولائك وهؤلاء لا يختلفون في إنطاق عمرو بن عدى بالبيتين:

صَبَنْتِ الكَأْسَ عَنّا أُمَّ عَمْـــرٍو وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا اليَمِينَـــا

وَمَا شَـــرُّ الثّـــلاَثَةِ أُمَّ عَمْـــرٍو بِصَاحِبِكِ الذِي لاَ تَصْبَحِينَـــا

وأنت حين تمضي في القصيدة ترى فيها أبياتا مكررة في وسط القصيدة وفي آخرها وأن هذا الاضطراب مصدره اختلاف الروايات."[1]

فهنا نجده ينفي قصيدة "ألا هُبى" من الوجود ونسبتها إلى عمرو بن كلثوم مع أن الشواهد التاريخية تقول غير ذالك وعذره هنا هو الأسلوب والسهولة اللفظية التي تقوم عليها القصيدة؛وأنها لا تشبه ما كان يتحدث به العرب في الفترة الجاهلية، وهذا غير صائب فهو هنا كأنه يقول أن شعراء العصر الجاهلي لم يتمتعوا بالذوق بما أنه يرفض نسبة هذا الشعر المنضبط والبليغ مع أن العديد من الرواة والنقاد أكدوا غير ذالك بدليل حياتهم وبيئتهم؛فقد بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان ويأكد هذا شوقي ضيف في قوله:"أن الشعراء كان لديهم ذوق عام دفع الشعراء ومن وراءهم من الخطباء إلى تحبير كلامهم وتجويده، ومما لا شك فيه أن أسواقهم الكبيرة هي التي عملت على نشأة الذوق، وخاصة سوق عكاظ بجوار مكة، إذ كان الخطباء والشعراء يتبارون فيها وكل يريد أن يحوز قَصَبَ السبق لدى سامعيه دون أقرانه، ففي الأغاني"أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولا، وما ردوه منها كان مردودا."[2]

أي أن الشعراء كانوا يراجعون بعضهم البعض في الألفاظ والمعاني لهذا تمتعوا بهذه السهولة واللين وإذا كان كلامه صحيح فلماذا لم يأتنا بدليل واضح على طريقة الحديث التي كان يتميز بها هؤلاء الشعراء؟

[1]- ينظر، طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص178

[2]- ينظر: شوقي ضيف، **تطور وتاريخ**، ط9، القاهرة، دار المعارف، ص11.

وفي الأخير يقارن بين معلقة ابن كلثوم وقصيدة بن حلزة ويستخلص أن أمتن من هذه القصيدة وأرصن قصيدة الحارث بن حلزة.

"ومن الغريب في مسلك صاحب الكتاب إزاء تلك المبادئ أنه يأخذ بها ولا يأخذ بأضدادها، يأخذ بها في الرفض ولا يأخذ بأضدادها في القبول-أو بالأحرى يأخذ في المبدأ بأحد جانبيه ويدع الجانب الآخر، إذ اللين والمتانة أو التكلف أو العفو، ما هو إلا جانبان مختلفان لمبدأ واحد، فهو يرفض الشعر مثلا لسهولته ولينه، فإذا جاءه شعر غير لين ولا سهل معاصر الشعر الأول لم يجنح إلى قبوله."[1]

لهذا رفض معلقتي الحرث بن حلزة وعمرو بن كلثوم لعظم الفرق بينهما في اللفظ والمعنى"فما بين أبيات عمرو بن كلثوم السابقة وهذه الأبيات الآتية فرقا عضيما في جودة اللفظ وقوة المتن وشدة الأسر ومن بعض هذه الأبيات قوله:

ملكٌ أضرعَ البريّة لا يُو جدُ فيها لما لديهِ كفاء
ما أصابوا مِن تَغلَبيٍّ فَمَطَلو لٌ عَلَيهِ إذا تَوَلّى العَفاءُ
كَتَكالِيفِ قَوْمِنا إذْ غَــزَا المُنْذِرُ هَلْ نَحْنُ لابْنِ هِنْدٍ رِعاء

وأيضا هذه الأبيات التي يعير فيها الشاعر تغلب بإغارات كانت عليهم لن ينتصفوا لأنفسهم من أصحابها مطلعها:

أَعَلَيْنَا جَنَاحُ كِنْدَةَ أنْ يَغْنَمَ غَازِيهِمُ وَمِنَّا الجَزَاءُ
لَيسَ مِنّا المُضَرِّبونَ وَلا قَي سٌ وَلا جَندَلٌ وَلا الحَدَاءُ
أَمْ جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فَمَنْ يَغْدِر فَإنَّا مِنْ حَرْبِهِمْ بُرَآء.."[2]

[1]- محمد أحمد الغمراوي، **النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي**، مرجع سابق، ص302.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص183.

كما تحدث طه حسين عن قصة الحارث بن حلزة مع عمرو بن هند وإرتجاله لمعلقته أمامه قائلا:"ويكفي أن نقرأ هذه القصيدة لنرى أنها ليست مرتجلة ارتجالا وإنما هي قصيدة نظمت وفكر فيها الشاعر تفكيرا طويلا ورتب أجزائها ترتيبا دقيقا."[1]

فهو هنا ينفي صحة نسبتها إلى بن حلزة وخاصة أنها مرتجلة ذالك أن تفكيره يقول ذالك مع أن العديد من الشواهد التاريخية تأكد ذالك وقد تحدث عنها ابن قتيبة قائلا:" في هذه القصة هو القائل:

آَذَنَتنا بِبَينِها أَسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَواءُ

ويقال إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند ارتجالا، في شئ كان بين بكر وتغلب بعد الصلح، وكان ينشده من وراء السجْف، للبرص الذي كان به، فأمر برفع السجف بينه وبينه، استحسانا لها وكان الحرث متكئا على عنترة فارتزت في جسده وهو لا يشعر."[2]

ومع ذلك مصداقية وصحة هذه القصة حسب كل رواية فهي تختلف من راوية إلى آخر والله أعلم، ومع ذالك "حتى إذا ذكر الحارث بن حلزة لم يقدم لنا سببا لشكه غير أنه يورد أبياتا من معلقة عمرو بن كلثوم، ويذكر أن قصيدة الحرث أمتن وأرصن ثم يقول: ولسنا نتردد في أن نعيد ما قلناه من أن هاتين القصيدتين وما يشبههما مما يتصل بالخصومة بين بكر وتغلب إنما هو من آثار التنافس بين القبيلتين في الإسلام لا في الجاهلية."[3]

بعدما فرغ من الحديث من شعر عمرو بن كلثوم ذهب إلى شعراء آخران "من ربيعة وقف عندهما المؤلف وقفة قصيرة هما طرفة ابن العبد والمتلمس. وقال إنما نجمعهما لأن القصص جمعهما من قبل."[4]

[1]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص 172.

[2]- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، مرجع سابق، ص197.

[3]- ناصر الدّين الأسد، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية**، مرجع سابق، ص398.

[4]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص185

بعدما فصل المؤلف في الحديث عن الشعراء الأوائل ورغم ذلك لم يكتفي بذلك انتقل إلى شعراء آخرين منهم طرفة ابن العبد والمتلمس.

"يذكر الرواة طرفة ومعه دائما أخته الخرنق الشاعرة، وخاله المتلمس، وابن عمه عبد عمرو، من بطانة عمرو بن المنذر الثالث ملك الحيرة وهو المعروف بابن هند، لما بينه وبينهم من قرابة ولما لهم من تاريخه من صلة، ويقولون إنه كان صغيرا يلعب مع الصبيان وسمع المتلمس أو شاعرا آخر، هو المسيب بن علس، ينشد شعرا له صفة الجمل في مجلس من بني ثعلبة، فعابه طرفة بما اتخذه قزمه مثلا، وبدا لهم حينئذ أول ما عرف من تمامه وإقدامه، قالوا وإنه وفد مع خاله المتلمّس إلى عمرو بن هند، فأقاما عنده زمانا ينادمانه ويخرجان معه إلى الصيد، وكان ابن عمه عبد عمرو مغاضبا له، فوشى به إلى الملك فسيره مع المتلمس إلى عامله بالبحرين وكتب مع كل واحد منهما صحيفة يأخذان بها حياء الملك، ولما فصلا من الحيرة ارتاب المتلمس في أمر الملك، لما تقدم من هجائه إياه، وأشفق أن يكون أمر فيهما بشرّ، فأقرأ صحيفة غلاما من نصارى الحيرة، وعلم بما تحمله من المكروه له، فألقاها في الماء وهرب إلى الشام، ثم انتهت هذه القصة بأن الشاعر طرفة بن عبد لقي حتفه، أو مات حتف أنفه وهو ابن العشرين سنة أو خمس وعشرين على الأرجح، بدليل ما في ديوان أخته الخرنق ولم تتذكر الروايات والكتب السبب في موته."[1]

كان لطرفة ابن العبد قصة مع خاله المتلمس وأسطورة اختلف فيها الرواة كثير واختروا إلا هاته القصة التي بين أيدينا والتي كان لها فضل الحديث فيها عند المؤلف "طه حسين" ورأى أن هذه القصة والأحاديث حولها كثيرة وأنه أضيف لها العديد لم يذكر لانتحال

قال ابن قتيبة في منزلة طرفة الأدبية:"هو أجود الشعراء قصيدة وله بعد المعلقة شعر حسن. وقال ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين أنه في الطبقة الرابعة من رهط فحول الشعراء وموضعه مع الأوائل. فأما طرفة فأشعر واحدة وهي قوله:

خولة أطلال ببرقة ثهمد ... وقفت بِهَا أبكى وأبكى إِلَى الْغَد

[1]- ينظر: محمد هاشم عطية، **الأدب العربي وتاريخه في لعصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ص264-265

ويليها:

أصَحَوْتَ اليَومَ أم شاقَتْكَ هِرّ ... ومِنَ الحُبّ جُنونٌ مُسْتَعِرْ "[1]

لقد تعرض لطرفة الرواة في كتبهم منهم ابن قتيبة وابن سلام الجمحي، وقالوا بأن له منزلة أدبية ويعد من أجود الشعراء، وجعله ابن سلام في طبقة الرابعة في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين وأشعر الناس، وعلى ذلك ذهب المؤلف إلى أن ابن سلام رأى له مطولة التي مرت معنا وعرف له الرائية المشهورة وله العديد من القصائد.

ثم الدكتور "طه حسين" يرى أن للشاعر طرفة ابن العبد قصيدة أخرى مشهورة، وهي:

سائِلوا عَنَّا الذي يَعْرِفُنَا ... بقُوانا، يَوْمَ تَحْلَاقِ اللِّمَم

ثم مقطوعات أخرى ليست بذات عناء. وإذا قرأت شعر طرفة رأيت فيه ما ترى في أكثر هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين ولا سيما المضرين منهم من متانة اللفظ وغرابته أحيانا، حتى لتقرأ الأبيات المتصلة فلا تفهم منها شيئا، وأن هذا الشعر أشبه بشعر المضرين منه بشعر الربعيين، وأن هذه السهولة التي تبلغ الإسفاف أحيانا. فكيف شذ طرفة عن شعراء ربيعة جميعا فقوى متنه واشتد أسره وآثر من الإغراب ما لم يؤثر أصحابه ودنا شعره من شعر المضرين؟"[2]

يرى طه حسين أن شعر طرفة ابن العبد غريب اللفظ ويشبه شعر المضرين وذلك في قول محمد الخضر حسين: "الألفاظ التي يتألف منها شعر طرفة واردة في كلام غيره من منظوم العرب ومنثورهم، وورودها في غير شعر طرفة دليل على أنها مألوفة الاستعمال لذلك العهد، وإذا كانت حروفا عربية وكانت من قبيل ما يأخذ به الفصحاء أشعارهم وخطبهم، لم يكن دخولها في شعر طرفة بمستنكر، كما أن أخذها في القصيدة مواقع متقاربة وهي من الألفاظ العربية الصريحة لا يثير في نفس الناظر ريبة وإن لم يكثر استعمالها في المخاطبات أو المنشآت الأدبية كثرة استعمال السيف والرمح، والعلم

[1]- مهدي محمد ناصر الدين، **ديوان طرفة ابن العبد**، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 1423ه-2002، ص ص8-9.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص187

والجهل، والقلب واللسان، والسماء والأرض، فما يجيء من شعر طرفة من هذه الأبيات التي نستعين على فهم بعض كلماتها بالمعاجم كقوله:

أمونٍ كألواح الإرانِ نصَأْتُها عَلى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهرُ بُرجُدِ

قد كان خطابها موجها إلى قوم يفهمونها لأول ما يسمعونها كما يفهم الناس اليوم قوله:

إذا القومُ قالوا مَن فَتًى ؟ خِلتُ أنّني عُنِيتُ فلمْ أكسَلْ ولم أتبَلّد

ولا ننكر مع هذا أن توصف الكلمة في عهدهم بالغرابة حيث لا تكون كثيرة الدوران في محاوراتهم، أو حيث تكون لغة قبيلة لم تتناولها الفصحاء، ولا يبقى بعد هذا سوى النظر في اختلاف شعراء الجاهلية حيث يذهب بعضهم في شعره إلى السهولة فيصوغه من الكلمات الكثيرة الدوران، ويذهب آخرون إلى أن يدخلوا في نسجه شيئا من هذه الكلمات الغريبة قليلا أو كثيرا."[1]

الألفاظ التي ألف منها "طرفة" شعره واردة في كلام غيره، وتعد خارجة عن منظوم العرب ولذلك يرونها أنها مألوفة وغريبة و لم يتناولها الرواة من قبل، ومن بينهم المؤلف "طه حسين" يرى أن ألفاظه غريبة ولا تنتسب إليه.

"يتصل شعر طرفة بالبادية، فيصف ما فيها من نبات ووحش وطير، ويذكر الأمطار والبحار والسفن، وقد تعلق بناقته فأمضى بها الهمّ عند احتضاره، ثم تناول جوارها وأخلاقها وضروب سيرها بما لم يدع القائل معه متعلقا، وعد بذلك من أوصف الجاهلين للإبل".[2]

تميز شعر طرفة ابن العبد بالبادية، حيث اتسمى بوصف البحار والسفن، وتعلقه بناقته فتناول جوارحها وأخلاقها، ويعد من أوصف الجاهليين للإبل، فقد كان جل الشعراء الجاهليون أشعارهم تتصل بذكر الطبيعة والحيوان الأقرب لهم.

[1]- محمد الخضر حسين: **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص 288.

[2]- محمد هاشم عطية، **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص268.

"ومن ذلك وصف طرفة لناقته:

وإني لأمْضي الْهَمّ عندَ احْتِضَارِهِ بعَوْجاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

التي أعدها المؤلف من أوصاف العلماء وليست بوصفه.

ثم ذهب إلى القول في ص188: "دع وصفه للناقة واقرأ":

ولستُ بحَلاّل التِّلاعِ مَخافَةً ولكن متى يَستَرفِدِ القومُ أرفِدِ"[1]

يرى المؤلف في هذه الأبيات الثمانية التي ذكرنا مطلعها فيها شخصية البداوة واللينة وشدة واستبعد عنها الانتحال والاسراف الذي ادعاه عليها من قبل.

وعليه قد أعد هذا الشعر ذات شخصية بارزة قوية، وقال بأنه "هذه الشخصية تمثل رجلا فكر والتمس الخير والهدى، صادق في يأسه، صادق في حزنه، ولست أدري أهذا الشعر قد قاله طرفة أم قاله رجل آخر؟"[2]

المؤلف هنا أقر بأن هذا الشعر له شخصية قوية ولم يصدق بأن هذا الشعر ينتسب إلى طرفة، وقد أبعد عليه التكلف والانتحال وأنه شعر صحيح وناذر وفيه قوة وحياة وفرح به كثير وارتاح له المؤلف فطلق قلمه فيه.

"خلع المؤلف لقلمه العذار فطرب في حديث الإلحاد والإباحة ما شاء ثم قال ص178: "وإذا فأنا أرجح أن في هذا شعرا صنعه علماء اللغة هو هذا الوصف الذي قدمنا بعضه، وشعرا صدر عن شاعر حقا هو هذه الأبيات وما يشبهها، ولسنا نأمن أن يكون في هذه الأبيات نفسها ما دس الشاعر دسا وانتحل انتحالا. فأما صاحب القصيدة فيقول الرواة: إنه طرفة. ولست أدري أهو طرفة أم غيره؟ بل لست أدري أجاهلي هو أم إسلامي؟ وكل ما أعرفه هو أنه شاعر بدوي ملحد شاك."[3]

---

[1]- طه حسين:**في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص188

[2]- ينظر: نفس المصدر، ص 189.

[3]- محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص292.

تراجع المؤلف إلى ما قاله عن الشعر طرفة سابق، ثم قال عنه أنه صنعة علماء اللغة، وليس بشعره وأنه منتحلا، ونفي وجوده ونسبه بأنه شاعر بدوي ملحد فقط، أي يعد متناقض في توجهاته ونقده ولا يعرف إلا الحكم بمنهجه.

"كان الشاعر طرفة وبعد أن يتم وصف ناقته وتصويرها يفرغ إلى نفسه فيصف معيشته في السلم والحرب، فإذا هو يحب اللهو والعبث كما يحب الحرب، وإغاثة الملهوف، وإذا هو مبذر يكره جمع المال؛ لأن الموت لا يفرق بين الكريم والبخيل، وفي هذا القسم يطلعنا على آرائه في الحياة والموت، وعلى اضطهاد عشيرته له، وعلى غير ذلك مما يتعلق بحياته. وهو أهم أقسام المعلقة؛ لأن به تظهر خصائص الشاعر تمام الظهور. فلا خولة طرفة ولا ناقته تجذبه إلينا أو تجذبنا إليه، فليس في نسيبه ما يغري به ويستخف القلوب، وليس في وصف "عوجائه المرقال" ما يجمع روحنا بروحه ويربط دنيانا بدنياه، وإنما طرفة بنفسه دون غيره، بلهوه ومرحه، بفخره واعتداده، بتشكيه وتظلمه، يحملنا إليه أو يحمل ذاته إلينا، فنحس بإحساسه، نأسى لألمه، فحياته في شعره لها أثر قوي في توجيه هذا الشعر، وضم روحه إلى أرواح قرائه. وتعد الفطرة في شعره تتمثل أصدق تمثيل بصراحته وسذاجة عقائده، وتحمسه الشديد لها، وتلك الصراحة التي جعلته يتحدث عن نفسه في خيرها وشرها."[1]

تمثلت حياة الشاعر طرفة وشعره بلون من الأوصاف لناقته وتصويرها ووصف معيشته، وتعتبر حياته في شعره بتأثير قوي، ويتمثل ذلك التأثير في فطرته وسذاجته.

وعليه فإن شخصية الشاعر تتجسد في شعره ووصف مجد قبيلته وفخرها.

انتقل بنا المؤلف طه حسين من الشاعر طرفة إلى المتلمس للحديث عن شعره بأنه غريب أمره والتكلف ظاهر فيه، ولا سيما في القافية، وذلك في أول سنيته:"

يا آل بَكْرٍ أَلاَ للَّه أُمُّكُم ... طال الثَّواءُ وَثَوْبُ العَجزِ مَلْبُوسُ

ويرى أيضا على أن قصيدته مضطربة الرواية فقد يوضع آخرها في أولها، وقد يروي مطلعها:

[1] – ينظر: بطرس البستاني، **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، مرجع سابق، ص ص112-114

كم دون مَيَّةَ من مُسْتَعْمَل قُذُف ... ومن فَلاةٍ بها تُسْتَودَعُ العِيسُ"[1]

يذهب المؤلف من طرفة وشعره إلى الحديث عن المتلمس وشعره بأن قصيدته مضطربة الرواية.

"نقرأ في كتب الأدب الراقية: أن أبا عمرو بن العلاء: يقول لقيت الفرزدق في المربد فقلت يا أبا فراس أحدثت شيئا؟ فقال خذ، ثم أنشدني:

كم دون مَيَّةَ من مُسْتَعْمَل قُذُف ... ومن فَلاةٍ بها تُسْتَودَعُ العِيسُ

فقلت سبحان الله؟ هذا للمتلمس؛ فقال: اكتمها، فضوال الشعر أحب إليّ من ضوال الإبل."

لا نريد أن نستشهد بهذا على أن القصيدة معدودة من مختار الشعر، وأنها مما يرغب البلغاء في أن تكون من بنات قرائحهم، ولكن شهرة القصيدة في عهد الفرزدق وأبي عمرو بن الاعلاء تدل على أنه منشئها عربي فصيح، وإذا كان العربي الفصيح قد يتكلف القافية فليكن طرفة من هذا القبيل، ولا يكون تكلف القافية في هذه القصيدة أمارة على أنها محمولة عليه.

وأما اضطراب الرواية بوضع آخرها في أولها فإن دل على شيء فهو قدم عهد القصيدة بالنظر إلى عهد التدوين."[2]

الناقد في كتابه نقض الشعر الجاهلي يرد على الدكتور طه حسين" وينقده على ما طرحه في الجزء الأخير من كتابه عن قصيدة المتلمس بأنها متكلفة، وعلى اضطراب الرواية.

[1]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص190

[2]- محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في لشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص 294.

المؤلف "طه حسين" قال في موضع آخر: "أن للمتلمس قصيدة أخرى ليست أجود ولا أمتن من هذه، ولعلها أدنى منها إلى الرداءة وهي التي مطلعها:

الم ترَ إنَّ المَرءَ رَهنُ مُنيّةٍ صَريعٌ لِعافي الطَيرِ أَو سوفَ يُرمَسُ

فَلا تَقبَلَن ضَيماً مَخافَةَ ميتَةٍ وَموتَن بِها حُرّاً وَجِلدُكَ أَملَسُ

ويقول أيضا:

فَمَا النّاسُ إلاّ ما رَأَوا وَتَحَدّثوا وَما العَجزُ إلا أَن يُضاموا فَيَجلِسُوا.[1]

يرى المؤلف في هذه الصدد أن قصيدة المتلمس التي ذكرها أنها رديئة وليست بأجود والأمتن وكان هنا نقده على نحو نقد علماء الأدب.

قال المؤلف في الصفحة نفسها:" وأكبر الظن أن كل ما يضاف إلى المتلمس من شعر-أو أكثر يعد-مصنوع، الغرض من صنعته تفسير طائفة من الأمثال وطائفة من الأخبار حفظت في نفوس الشعب عن ملوك الحيرة وسيرهم: في هؤلاء الأخلاط من العرب وغير العرب الذين كانوا يسكنون السواد. ولا أستبعد أن يكون شخص المتلمس نفسه قد اخترع اختراعا تفسيرا لهذا المثل الذي كان يضرب بصحيفة المتلمس والذي لم يكن الناس يعرفون من أمره شيئا، ففسره القصاص."[2]

يرى المؤلف أن كل ما يتعلق بالمتلمس عبارة عن إضافات إليه، من حيث قصته المثل المضروب بصحيفته، كلها من عمل الرواة والقصاص استمدوها من الأساطير الشعبية.

"المتلمس الضبعيّ هو جرير بن عبدة المسيح من بني ضبيعة بن مالك بن بكر بن وائل، شاعر جاهلي قديم، وهو خال الشاعر طرفة بن العبد، وعنه أخذ طرفة الشعر، كانت منازل قومه البحرين، وبها نشأ وعاش. ونادم عمرو بن هند ملك المناذرة في الحيرة، ثم هجاه لظلمه وطغيانه، وأراد عمرو قتله فالتجأ إلى الشام ولحق بملوك الغساسنة. أقام خمسة عشر عاما في بصرى ودمشق، وهو يرسل

[1]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص 191.

[2]- ينظر: نفس المرجع ، ص 192.

قصائده إلى قومه، حتى وافته المنية ببصرى سنة خمسين قبل الهجرة النبوية، نحو569 للميلاد، وله ديوان شعر مطبوع، وصحيفة له اشتهرت في أخبار الأدب."[1]

المتلمس شاعر جاهلي قديم له حياة وشعر يعترف به، واعترف أكثر بصحيفته، ولا يجب علينا أن ننكر له وجود ولو أنه لم يعرف أكثر بين الشعراء.

رغم ما أسرف فيه المؤلف في كتابه هذا وأطال القول في العديد من الشعراء المشهورين وفي حياتهم، يرى أنه يوجد شعراء آخرون لم يقف عندهم ويلم بشعرهم، وأنه بهذا كله وضح وأزال الحجاب عما اختلج الشعر الجاهلي، أي أن الشعر الجاهلي عنده غير صحيح وفيها انتحال.

"ويرى أنه قصده في هذا الكتاب إلى أن يدرس الشعراء ولا إلى أن يحلل شعرهم وإنما قصده أن يبسط رأينا في طريقة درس هذا الشعر الجاهلي وهؤلاء الشعراء الجاهلين. وقد بلغ من ذلك ما يريد."[2]

إن البحث العميق الذي أخذه الدكتور "طه حسين" في الشعر الجاهلي، يرى أنه مجرد درس سطحي ويوجد أكثر من ذلك تتبع الشعراء وقصائدهم واحدة تلوى الأخرى في كتاب آخر، وكان قصده من هذا البحث وتطبيق منهج الشك على الشعر الجاهلي وعلى شعرائه الجاهليين غرضه فقط تبيان الحق للباحثين والدارسين الناشئين.

وهذا يعد رأيه ووجهة نظره، لكن نحن رأينا غير ذلك من خلال كتابه النقد الهدام وليس البناء.

"وقد ختم المؤلف كتابه هذا بملاحظتين:

الأولى: أن الدرس الذي قدمه ينتهي إلى نتيجة مفادها: أن أقدم الشعراء فيما كانت تزعم العرب وفيما كان يزعم الرواة إنما هم يمنيون أو ربعيون. وما يروى من أخبارهم يدل على أن قبائلهم

[1]- حسين علي الهنداوي، **الأدب والحكمة العربية في عصر ما قبل الإسلام**، مرجع سابق، ص 306.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص 192.

كانت تعيش في نجد والعراق والجزيرة أي في البلاد التي تتصل بالفرس، وكان يهاجر إليها العرب من عدنان وقحطان على السواء."[1]

يوضح لنا المؤلف هنا أن الشعراء القدماء الذي مروا عليه حين بحثه يمنيون أو ربعيون وذلك ما كان يزعمه الرواة والعرب.

"ورجح أن الحركات التي دفعت أهل اليمن من ناحية أهل الحجاز من ناحية أخرى إلى العراق والجزيرة ونجد، في عصور مختلفة، ولكنها لا تكاد تتجاوز القرن الرابع للمسيح، قد أحدثت نهضة عقلية وأدبية، لما كان من اختلاط هذين الجنسين العربيين فيما بينهما ومن اتصالهم بالفرس، وأن هاته النهضة نشأ عنها شعر وقوى وأصبح فنا أدبيا. وقد ذهب هذا الشعر و لم يبقى منه إلا الذكرى، وتجاوزت هذه النهضة أقطار العراق والجزيرة ونجد وتغلغلت في أعماق البلاد العربية. ومن هنا ظهر الشعر في مضر. فالشعر كما ترى يمني قوى حين اتصلت القحطانية بربيعة، ولكننا لم نعرفه و لم نصل إليه إلا حين تغلغل في البلاد العربية وأخذته مضر عن ربيعة."[2]

يرى المؤلف طه حسين أن دخول الجنس الجديد واختلاطه مع العرب قد أحدث تغير في العقلية الأدبية.

كما بين لنا محمد الخضر حسين أن النتيجة النهائية لتلك القبائل تتلخص في ست جمل:"

- أقدم الشعراء يمنيون أو ربعيون.
- قبائل هؤلاء الشعراء كانت تعيش في نجد والعراق والجزيرة.
- اتصال القحطانية بربيعة أحدث نهضة أدبية.
- هذه النهضة تجاوزت العراق والجزيرة ونجدا وتغلغلت نحو الحجاز.
- الشعرؤ الناتج من اتصال القحطانية بربيعة ذهب و لم تبق منه إلا الذكرى.

[1]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص ص 192-193

[2]- ينظر: نفس المرجع، ص193

- الشعر يمني قوى حين اتصلت اليمانية بربيعة."[1]

استطاع المؤلف والناقد أن يلخص لنا بعض النقاط الأخيرة التي عددها الدكتور "طه حسين" في صفحاته الأخيرة من كتابه، أما من حيث ترجيحاته الأولى فهي دليل على أن المؤلف ليس على يقين من هذه القبائل وشعرائها وصحة شعرهم، ورغم ذلك في نتيجته هذه الأخيرة كان غير سوي بما جاء به قبل ذلك في بحثه.

ثم قال: «بأننا لا نستطيع أن نؤرخه ونحدد أوليته تقريبا، ولأننا نستطيع أن نقبل بعض قديمه دون أن تحول بيننا وبين ذلك عقبة لغوية عنيفة. وسترى أن الشعراء الجاهلين من مضر قد أدركوا الإسلام كلهم أو أكثرهم فليس غريبا أن يصح من شعرهم شيء الكثير".[2]

من يقرأ هذه الجمل يسبق إلى ظنه أن الشعراء الذين أتى عليهم المؤلف وحجز عنهم هذا الشعر الذي يعزى إليهم أو قال: "لا أدرس الحياة الجاهلية في شعرهم، كلهم من ربيعة، ولكنه بحث في شعر عبيد ابن الأبرص وهو من بني أسد وبنو أسد من مضر، وبحث في شعر علقمة وهو من بني تميم، وتميم من مضر وقال: لا أدري الحياة الجاهلية في شعر النابغة وزهير، وكلا هذين الشاعرين من قيس، وقيس من مضر.

وإذا كانت النتيجة إنما هي انكار شعر اليمن وربيعة وحدهما فما باله يمشي في الفصول السابقة على انكار الشعر الجاهلي بإطلاق فيقول:" إن هذا الشعر الجاهلي لا يمثل اللغة الجاهلية." و قال:" إن هذا الشعر الذي يسمونه الجاهلي لا يمثل اللغة الجاهلية ولا يمكن أن يكون صحيحا."[3]

المؤلف وضح لنا موقف "طه حسين" من الشعر الجاهلي وكيف أنكره بأنه لا يمثل اللغة الجاهلية وهنا أوقع نفسه في مشكلة شائكة يصعب حلها.

[1]- محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص 298.

[2]- ينظر: طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص ص 193-194.

[3]- محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص300.

"الثانية أن الذين يقرءون هذا الكتاب قد يفرغون من قراءته وفي نفوسهم شيء من الأثر المؤلم لهذا الشك الأدبي، وقد يشعرون، مخطئين أو مصيبين، بأننا نعتمد الهدم تعمدا وتقصدا إليه في غير رفق، وقد يتخوفون عواقب هذا الهدم على الأدب العربي عامة وعلى القرآن الذي يتصل به هذا الأدب خاصة."[1]

المؤلف في ملاحظته الثانية يوضح لنا الهدف من منهجه الأدبي الذي اتبعه في كتابه واستنتج ماهي ردة فعلنا من بحثه، وهنا كان يتوقع ما يحمل بعد هذا البحث الطويل الشقي.

ووجه بعد ذلك قوله:" على هذا الشك بأنه لا ضرر منه ولا بأس به، لا لأن الشك مصدر اليقين، بل لأنه قد آن للأدب العربي وعلومه أن تقوم على أساس متين. وخير للأدب العربي عن أن يبقى مثقلا بهذه الأثقال التي تضر أكثر مما تنفع، وتعوق عن الحركة أكثر مما تمكن منها."[2]

وضح لنا المؤلف هنا منهج الشك سبيل للقين ومعرفة الصواب وأنه لا بأس منه وبه يرجع الأدب العربي أساسه المتين ويخلص من الأثقال الزائفة التي تعويقه على التقدم والتطور، وادعى لشكه قيمة وأساس عظيم في الساحة الأدبية وعليه أطلق العنان لقلمه ونسى الذي مر عليه أهل العلم في الشعر الجاهلي.

قال المؤلف في الصفحة لموالية:" ولسنا نخشى على القرآن من هذا النوع من الشك والهدم بأسا؛ فنحن نخالف أشد الخلاف أولئك الذين يعتقدون أن القرآن في حاجة إلى الشعر الجاهلي لتصح عربيته وتثبت ألفاظه. نخالفهم في ذلك أشد خلاف لأن أحد لم ينكر عربية النبي فيما نعرف، ولأن أحد لم ينكر أن العرب قد فهموا القرآن حين سمعوه تتلى عليهم آياته. وإذا لم ينكر أحد أن النبي عربي وإذا لم ينكر أحد أن العرب قد فهموا القرآن حين سمعوه فأن خوف على عربية القرآن من أن يبطل هذا الشعر الجاهلي أو هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين."[3]

---

[1]- طه حسين، **في الشعر لجاهلي**، مصدر سابق، ص194.

[2]- ينظر: نفس المصدر، ص194.

[3]- نفسه، ص ص 194-195

نرى هنا أن طه حسين في تناقض مع نفسه لما قاله عن حاجة القرآن للشعر الجاهلي.

"لا يخطر على بال أحد أن نفي الشعر الجاهلي من الأرض يمس القرآن بسوء فإن العلماء الذين قاموا على تفسير مفرداته قد رجعوا في بيانها إلى الشعر أو النثر سمعوه من العرب الخلص، وسواء عليهم أكان هذا الشعر أو النثر صدر من الإسلامين أم كان مضافا بحق أو بغير حق وهذا حال ما يتمسكون به في قواعد النحو، فإن هذه القواعد لن تزال ثابتة ولو قامت الآيات البينات على أن هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهلين كله أنشئ بعد ظهور الإسلام، والمؤلف لم يدرس اللغة وأصولها وأدبها ببصيرة صافية وفكرة متيقظة، فحسب أن الشك في الشعر الجاهلي يسري إلى الشك في معاني القرآن وقواعد النحو والبيان، فدبت يده إلى ما كتبه المستشرق "مرغليوث" وأفرغ ما يستطيع من التشكيك في هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهلين وجرى في خياله أنه بلغ من الكيد للقرآن والعربية الفصحى ما كان يتمنى، فلبسه الغرور وجعل يداجي أهل القرآن ويقول كالمخفف من فزعهم: فأي خوف على عربية القرآن من أن يبطل هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهلين وقد لوحنا فيما سبق إلى المواضع التي يحق لمفسر القرآن أو الحديث أن يأخذ في تحقيقها بشواهد من كلام العرب الفصيح."[1]

الناقد محمد الخضر حسين في كتابه نقض الشعر الجاهلي وضح لنا ما غاية المؤلف "طه حسين" مما سبق، من حيث محاولته لنفي الشعر الجاهلي والتشكيك فيه، بذلك قد شكك في القرآن ومعانيه، وراح يطبق منهج المستشرقين في الشعر الجاهلي وهو على ظن منه أنه بلغ من الكيد للقرآن وعربيته ما يتمنى، فقوى منهجه أكثر وراح يمرح في بحر كتابه كما يريد يهدم وينفي ويضيف حسب ما يراه مناسب، ونسى بأنه تجاوز الحدود في ذلك.

ثم ذكر أيضا بعدها وقال:" وليس بين أنصار القديم أنفسهم من يستطيع أن ينازع في أن المسلمين قد احتاطوا أشدّ الاحتياط في رواية القرآن وكتابته ودرسه وتفسيره حتى أصبح أصدق نص عربي قديم يمكن الاعتماد عليه في تدوين اللغة العربية وفهمها."[2]

[1]- محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص302

[2]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص195

القرآن الكريم هو كلام الله المترل على سيدنا محمد –صل الله عليه وسلم-بكلام مبين معجز بألفاظه، وهو محفوظ في الصدور منذ عهد النبوة، ولا يستطيع أحد أن ينازع المسلمين في كيفية روايته وجمعه وتدوينه وتفسيره.

قال أيضا بعدها المؤلف:" وهم لم يحفلوا برواية الشعر، بل انصرفوا عنها في بعض الأوقات طائعين أو كارهين، و لم يراجعوها إلا بعد فترة من الدهر وبعد أن عبث النسيان والزمان بما حفظ من شعر العرب في غير كتابة وتدوين."[1]

يرى المؤلف هنا أن الشعر الجاهلي كان محفوظ عند الشعراء قبل بداية الكتابة والتدوين وكانوا يحبون نظم الأشعار وإنشادها، بعد ذلك وبظهور الإسلام التفت الشعراء إلى عصر التنوير ورواية الحديث فتناسوا الشعر، لكن ذلك غير صحيح فالشعر بقت مكانته حتى بعد ظهور الإسلام والعديد من المسلمون يحفلون بالشعر وينشدونه وليس للإسلام أية سبب في نسيانه كما ادعى المؤلف بدون دليل على ذلك.

قال المؤلف في صفحة الأخيرة من كتابه: "أما نحن فمطمئنون إلى مذهبنا مقتنعون بأن الشعر الجاهلي أو كثرة هذا الشعر الجاهلي لا تمثل شيئا ولا تدل على شيء إلا ما قدمنا من العبث والانتحال، وأن الوجه-إذا لم يكن بد من الاستدلال بنص على نص-إنما هو الاستدلال بنصوص القرآن على عربية هذا الشعر لا بهذا الشعر على عربية القرآن."[2]

المؤلف هنا ينتهي بعد كل مقاله عن الشعر الجاهلي إلا أنه مطمئن على المنهج الذي اتبعه وأن الاستشهاد بالشعر الجاهلي يكمن في القرآن وعربيته.

"قطع المؤلف عنا حديثه بهذه الكلمة التي تنكر الشعر الجاهلي، وليست هذه الكلمة إلا سلالة تلك الشبه الكثيرة الصخب والتلاطم، وهي على ما ينعتها به الناس من صفاقة وتخاذل لم تنشط قريحة المؤلف لأن تستنبط مثلها، وإنما كان يتتبعها من ههنا وههنا كما يصنع بعض ذوي الأفكار العقيمة

[1]- طه حسين، **في الشعر الجاهلي**، مصدر سابق، ص195.

[2]- نفس المصدر، ص 195.

من أنصار القديم، وأقوى هذه الشبه دلالة-كما يقول المؤلف-ذلك الذي يسميه الدليل الفني اللغوي، وهو إنما دب إليه على حين غفلة من الناس وسله من مقال نشرته مجلة الجمعية الآسيوية للمستشرق مرغليوث."[1]

وهنا لا يعنينا هنا ما ذهب إليه المؤلف أو ما مالا إليه وإنما ما يهمنا كيف طبقه ونهال عليه دفعة واحدة.

وما تحدث به المؤلف بعد هذا الدليل الذي هو في ظنه "أنهض حجة" فمنه ما لا يدل على شيء ولا يثبت شيئا، ومنه ما لا يدل على أكثر من أن في هذا الشعر الجاهلي ما هو مختلق اختلاقا، ولن تجد له على انتحال هذا الشعر كله أو كثرته المطلقة من دليل أو ما فيه رائحة دليل.

"يريد المؤلف أن يلقي في نفوس تلك الطائفة القليلة أنه الداهية الذي ينال من الإسلام حتى يرضى، وما عليه إلا أن يقول كما قال في هذه الصحيفة: إنه يؤمن بعربية القرآن ويجعل نصوصه مقبولة الشهادة على هذا الشعر الجاهلي. يقول هذا وقد خادعته نفسه؛ إذ خيلت له أن هذه الأمم الإسلامية تبلغ من السذاجة ومن رؤيتها له بالمكان الأرفع أن تطير فرحا لرضاه عن القرآن وتواضعه إلى أن يعتد بنصوصه ويقبل شهادتها على أشعار الجاهلية الأولى، إننا أمة بحث ونظر: نذهب مع العلم كل مذهب، ولا نقف لحرية الفكر في طريق، وإنما نحن بشر، والبشر تأبى قلوبهم إلا أن تزدري أقلاما تثبت في غير علم وتحاور في غير صدق، وإنما نحن بشر، والبشر تأبى لهم أقلامهم إلا أن تطمس على أعين الكلمات الغامزة في شريعة محكمة أو عقيدة قيمة:" فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأملي لهم إن كيدي متين"."[2]

الناقد هنا فصل في الحديث عن نقد المؤلف "طه حسين" وبين له وجهته الخطأ التي التمسها والدليل المزيف الذي حمله كحجة سار بها في إقدام على الشعر الجاهلي واختراقه من جذوره إلى الأساس، ونسى أن هناك أمة بحث العلم سلاحها ولا تأبى أي فكر ينافي الحقيقة ويزيفها ويقف في

[1] - محمد الخضر حسين، **نقض كتاب في لشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص304.

[2] - نفس المرجع، ص ص304-305

الطريق المنافي لها مهما بلغ من علمه محاله الهدم والزوال لتلك الأفكار الغير السوية التي يحملها في ثنايا علمه.

المبحث الثاني: آراء نقدية

أثار كتاب طه حسين في الشعر الجاهلي معارضة شديدة وذلك بسبب تشكيكه في صحة رواية الشعر الجاهلي وحقيقة تدوينه منتهيا إلى أن غالبه منحولا وقد تعرض للنقد من طرف العديد من النقاد من بينهم مصطفى صادق الرافعي الذي يرى أنه "كلما نظرنا في كتاب الشعر الجاهلي لم نزدد إلا يقينا بأن هذا الأستاذ الذي يسبح بمذهب ديكارت هو أشد الناس خروجا في كتابه على هذا المذهب، فإنه لا يكتب ولا يفكر إلا لغرض واحد يبتغي له وسائله وأسبابه بكل ما استطاع، وهو توهين أمر الإسلام وصدعه من مفاصله وتفكيك العُقد المحكمة التي يتماسك بها في تاريخه وناهيك به دائما يجمع من هنا وهناك من أثينا إلى مكة...."[1]

إذن طه حسين لا يبحث كما يبحث ديكارت في منهجه أي لم يصل إلى اليقين على عكس طه حسين فنجده متناقضا في أفكاره ومنهجه في طريق ومنهج ديكارت في طريق آخر.

"ثم أن الأستاذ الغمراوي تكلم على مذهب ديكارت الذي هو سلاح طه حسين بزعمه والمحور الذي أدار عليه مباحثه واستخلص منه أن ديكارت لم يبدأ بالشك لأجل أن يستمر في الشك بل ابتدأ بالشك لينتهي إلى اليقين، وأنه صار من قواعد فلسفة ديكارت أن ما وجد الذهن واضحا جليا فهو حق يجب أن يسلم به تسليما."[2]

كما يرد محمد فريد وجدي على طه حسين في فكرته المتمثلة في أن القرآن أصدق مرآة للحياة الجاهلية؛ وأنه أصح تمثيلا لها من الشعر الجاهلي وذلك في قوله:

[1]- مصطفى صادق الرافعي: **تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد**، بيروت، الدار النموذجية المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2002، ص159.

[2]- محمد أحمد الغمراوي: **النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي**، مرجع سابق، ص58.

" نحن نوافقه على ذلك من وجه ونخالفه من وجه آخر، أما أن القرآن يعتبر أصقل مرآة لما كان عليه العرب الجاهلية من النقائض الخلقية والعيوب الاجتماعية، والمنكرات العادية، فنعم؛ لأن القرآن قد عرض عقائد ودافع عنها، وعرض عقلية الجاهليين وبعض اعتراضاتهم على دعوته ودحضها؛ وعرض عدة تفصيلات لهم من أحوال اجتماعية وعادات زوجية... و كيف لا يكون كذلك وهو إنما جاء لنقلهم مما هم عليه إلى حال أرقى منه درجات...ونخالف طه حسين من وجه كفاية القرآن وحده في تجلية ما كان عليه العرب من الصفات المحمودة وليس له أن يعرض لذلك وهو في مقام دعوتهم إلى دين يقلب وجودهم الاجتماعي رأسا على عقب، ويهدم ما هم عليه من أساسه، ويقيم على أنقاضه حياة جديدة لم يعرفوها إلى ذلك الحين".[1]

كما يرى الرافعي أن طه حسين قد انتحل فكرة الشك في صحة الشعر الجاهلي من المستشرقين ويقول في ذلك:

"ولقد أخذ فكرة الشك في الشعر الجاهلية عن المستشرقين أيضا، فقد حدثنا الأستاذ العلامة الكبير صاحب مجلة" المقتطف" في شهر سبتمبر من السنة الماضية أن مجلة الجمعية الأسيوية نشرت بحثا للشيخ...مرجليوث المستشرق الإنجليزي المعروف أنه أنكر فيه صحة الشعر الجاهلي، ثم ساق لنا الأستاذ بعض أدلته فلم نجد فلم نجد مقنعا ولا رضا، وقلنا هو رأي في العلم لا علم، ثم هو مستشرق وذلك أوهن له .. ولما فتحت الجامعة إذا المستر...طه حسين ينتحل الفكرة ويدعيها".[2]

وهذا ما لا نتقبله ويحتاج النقد فطه حسين عربي وليس مستشرق ملحد كمرجليوث حتى يتكلم عن ديننا الحنيف بهذا الشكل من خلال شكه هذا؛ فمرجليوث كما نعلم قد تحدث عن الشعر الجاهلي وعدة أمور قد تأثر بها طه حسين مثل شكه في الرواية الشفوية، وذلك التماثل بين لغة القرآن ولغة الشعر الجاهلي ولهجاتها وغيرهم.

[1]- ينظر: محمد فريد وجدي، **نقد كتاب الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص46-47.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد**، مرجع سابق، ص141-142.

كما يرى أيضا الغمراوي أن الكتاب الثالث في "أسباب انتحال الشعر" في تحريف كثير لوقائع التاريخ يبلغ أحيانا مبلغ الافتراء والافتعال، وهو تحريف مقصود فيما يظهر دعا إليه اضطرار المؤلف إلى التوسع في الأسباب توسعا يناسب سعة الغرض المراد تعليله، فلما لم يجد المؤلف في وقائع التاريخ ما يتسع لذلك التعليل حرف التاريخ إلى ما يلائم ذلك العرض، وجعل تاريخا ما ليس بتاريخ."[1]

إذن من الواضح أن طه حسين "لم يأتي بجديد فالحديث عن الانتحال معروف منذ سلام الجمحي ومجمل ما قام به هو نقل البحث من مستوى التاريخ الأدبي إل مستوى نقد العلم دون أن يقدم بديلا منهجيا، وبهذا أوسع دائرة الشك وبدد هالة القديم، فوضع علم القدماء موضع الدراسة والنقد دون أن يحاكمهم إلى مناهجهم وأفق عصرهم."[2]

كما يرى فؤاد البستاني بعدما يستخلص آراء طه حسين في الشعر الجاهلي: "أن مبدأه غزير الفائدة إذا طبق بإمعان وروية، وهو أمر لم يقم به المنتقد المذكور لسوء الحظ، فإنه لم يصب في كل تطبيقاته إذ أراد أن يعمم حكمه على أكثر الشعر الجاهلي، وفاته أن مثل هذه الأحكام أدق من أن تُعَمم؛ وأن جل ما يمكن المرء، أن يضع علامة استفهام بعد كل شعر لا تطمئن نفسه إلى صحته الاطمئنان الكافي."[3]

كما هناك أمر آخر له علاقة بالطريقة العلمية في رأي نصر الدي الأسد: "وهو إيراد النصوص على وجه يختلف عما كانت عليه في حقيقتها، والاستدلال بها على ما لا تدل عليه في أصلها لو أوردت كاملة ومن أمثلة ذلك أن الدكتور يذكر أن أبا عمرو بن العلاء قال:" ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا"، ولكن نص ابن سلام هو "ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيتهم

[1]- محمد أحمد الغمراوي، **النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي**، مرجع سابق، ص213.

[2]- آسيا جبار، مجلة منتدى الأستاذ، **الشك الديكارتي لدى طه حسين براديغم معرفي أم تلقي باهت؟**، العدد التاسع عشر، 2017، المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، الجزائر، ص290.

[3]- فؤاد أفرام البستاني، **الشعر الجاهلي –نشأته–فنونه –صفاته**، مرجع سابق، ص15.

بعربيتنا فحذف الدكتور قوله: "أقاصي اليمن" ثم غير قوله" ولا عربيتهم بعربيتنا، فجعله "لا لغتهم بلغتنا، والفرق بين ما أورده الدكتور وبين النص الحقيقي فرق كبير له دلالته التي بينها ناقده."[1]

إذا طه حسين لم يكن متناقضا في أراءه فقط بل هو الذي كان يتزيد ويُكذب الحقائق، كما أنه تمادى في الحكم على العديد من الشعراء؛ فمثلا تمادى في الحكم إلى القول أن معلقة امرئ القيس لم ينظمها امرئ القيس، بل أن امرئ القيس نفسه لم يوجد: "مع أن وجود امرئ القيس ثابت بشهادة مؤرخي الروم كنونوز وبروكوب فضلا عن مؤرخي العرب فهو من باب المغالاة غير الرصينة."[2]

كما أنه قد أخطأ في تسمية القضية بالانتحال بحيث أن طه حسين "ولفرط هجومه على الشعر الجاهلي، قد وهم في تسمية القضية بالانتحال، فهي النحل وليس الانتحال فانتحله وتَنَحَلَهُ:ادعاء لنفسه وهو لغيره، ونحَلَهُ القول، لمنعه:نسبه إليه، ويقال:نُحلَ الشاعر قصيدة إذا نسبت إليه وهي من قيل غيره، وقال الأعشى في الانتحال:

فَكَيْفَ أنا وانْتِحالِي القَوافِيَ بَعْدَ المَشِيبِ كَفى ذاكَ عارا

فالانتحال ما نسبه إلى نفسه.وهنا قد ابتعد الدكتور طه حسين عن الصواب بقوله الانتحال، فهؤلاء الرواة لم ينسبوا الشعر إلى أنفسهم بل نسبوا الأشعار إلى غيرهم."[3]

إذا جل الأسباب التي أوردها طه حسين نسبية لا يمكن الأخذ بها كحقيقة يقينية لأنها في حد ذاتها مبالغ فيها، وجُلها منافي للحقيقة وحتى طريقته التي يزعم أنه طبقها أ ي طريقة ديكارت غي صحيحة ومخالفة لمبادئه.

[1]-ناصر الدين الأسد، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمته التارخية**، مرجع سابق، ص409 .

[2]-فؤاد أفرام البستاني: **الشعر الجاهلي، نشأته –فنونه –صفاته**، مرجع سابق، ص 15.

[3]- مجلة كلية **الإمام الأعضم**، العدد الثامن عشر، مرجع سابق، ص470.

خاتمة

بعد دراستنا لكتاب في الشعر الجاهلي "لطه حسين" دراسة نقدية تحليلية، لاحظنا أن هذا الكتاب قد أثار ضجة كبيرة في الساحة الأدبية لما احتواه من أفكار جديدة لم يعهدها الأدباء وعليه نستخلص مجموعة من النتائج حول جل ما تناولنا في هذا البحث:

1. نشأ الشعر الجاهلي متأثرا بطبيعة الشاعر الذي يحكي ما يعيشه في بيئته ومحيطه.
2. مر الشعر بمراحل أثناء تطوره تمثلت في الرواية الشفوية ثم الكتابة والتدوين.
3. الحضارة التاريخية الجاهلية قد تعرضت للإهمال بحيث ضاع منها العديد من الشواهد التاريخية والنصوص المهمة في الأدب والشعر.
4. قضية النحل والانتحال قد تطرق إليها العديد من النقاد قديما وحديثًا أولهم ابن سلام الجمحي.
5. تبني طه حسين للمنهج الشك الديكارتي.
6. تأثر طه حسين بالمستشرق مرجليوث فقد حاول أن يتبع منهج البحث الديكارتي بحذافيره غير أنه لم يفلح في ذلك، كونه كان طول المدة متأرجحا بين الشك واليقين.
7. تقوم نظرية طه حسين على فكرة مفادها أن الشعر الجاهلي منحول ومختلف بعد ظهور الإسلام من طرف الرواة والقصاص والأعراب.
8. حاول طه حسين أن يأكد صحة نظريته من خلال القرآن معتبرا أن الحياة الجاهلية في القرآن لا في الشعر الجاهلي لأن الشعر الجاهلي لا يصور الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية.
9. من العوامل التي دفعته إلى الشك في الشعر الجاهلي الشك في صحة الرواية واللهجات فقد لاحظ فرقا واضحا بين لغة الشعر الجاهلي ولهجاته وبين لغة العرب القحطانية والعدنانية؛ وخاصة المشابهة بين لغة القرآن ولغة الشعر.
10. شكك طه حسين في وجودية وكينونة مجموعة من شعراء العصر الجاهلي أمثال امرئ القيس وعبيد ابن الأبرص وعمرو ابن قميئة وعمرو بن كلثوم وطرفة ابن العبد وغيرهم.

وفي ختام هذه الدراسة نرى أن مشكلة الانتحال قد أثيرت في كافة الأمم التي أنتجت أدبا وشعرا وذلك بسبب تأخر التدوين، وبالنسبة لطه حسين فقد كان في المستوى من الثقافة من ناحية محاولة

تبنيه لمنهج الشك وفي أسلوبه الباهر، في حين ذلك كان تطبيقه لهذا المنهج في غير محله اللائق وخاصة عند خدشه للدين الإسلامي ونفيه لبعض الحقائق التاريخية لشعر والحياة الجاهلية وأشهر شعراءها.

قائمة المصابيح والسراج

أولا: المصادر

الكتب:

1. أشرف أحمد عررة، **ديوان عبيد بن الأبرص**، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1414ه-1993م.

2. خير الدين الزركلي: **الإعلام قاموس تراجم**، دار العلم للملايين، ط7، بيروت-القاهرة، 1976

3. طه حسين : **الأيام**، دار مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط 1، 1412-1992، القاهرة.

4. عبد الرحمان المصطاوي، **ديوان امرؤ القيس**، دار المعارف، ط2، بيروت-لبنان، 1425ه-2004م

5. عروة بن الورد والسموأل، **ديونا**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1402ه-1982م.

6. المعجم: ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، بدون طبعة، بيروت، 1979.

7. مهدي محمد ناصر الدين، **ديوان طرفة ابن العبد**، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت –لبنان، 1423ه-2002.

ثانيا: المراجع

8. ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، الجزء الأول، دار المعارف، القاهرة، 4شعبان1388ه-23فبراير 1958م.

9. أبو فهر محمود شاكر، **قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام**، دار المدني، بجدة، مؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، 10محرم1418ه-18ماي1997م.

10. أبي عبد الله الحسن بن أحمد الزّوزني، **شرح المعلقات السبع**، لجنة التحقيق في دار العالمية، بيروت، 15ربيع الثاني 1413ه-1992/10/12م.

11. أحمد سليم الجندي، **امرؤ القيس**، مؤسسة هنداوي، د.ط، سنة، 2018

12. أحمد محمد الحوفي، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، مكتبة النهضة ومطبعتها، ط2، مصر، د.ت

13. أحمد موسى الحاسم، **عبيد بن الأبرص، دراسة فنية**، دار الكنوز الأدبية، ط1، لبنان، 1997م

14. جابر عصفور، **غواية التراث**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، رمضان1432ه-أغسطس2011م.

15. حسين صبري: **رواد الشك المنهجي**، دار الضياء للنشر والتوزيع، ط1، الإمارات-أبوظبي، 2011م-1432ه.

16. ديزيريه سقال، **العرب في العصر الجاهلي**، دار الصداقة العربية، ط1، بيروت، 1995.

17. سعد الدين السيد صالح: **قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية**، الامارت، ط1، مطبوعات جامعة الامارات العربية، 1998.

18. شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، دار لمعارف، ط11، القاهرة، 1119م

19. طه حسين: **في الشعر الجاهلي**، دار المعارف، ط2، سوسة-تونس، 1998

20. عارف حجاوي، **أول الشعر عصارة الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي**، دار المشرف، ط2، القاهرة، 2018.

21. عباس محمود العقاد، **عمر بن أبي ربيعة، شاعر الغزل**، دار المعارف، ط2 مصر، 1955م، ط3، 1964م.

22. عبد الرحمان بدوي، **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي**، ترجمة عن الألمانية والإنجلزية والفرنسية، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1979

23. عبد المتعال الصعيدي، **زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس و عذي بن زيد**،

24. علي أحمد الخطيب، **الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين**، دار المصرية اللبنانية، ط1، الأزهر، صفر1424ه، أبريل2003م.

25. غازي طليمات، عرفان الأشقر، **الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه، أعلامه، فنونه**، دار الإرشاد، ط1، حمص، 1412ه-1992م

26. فضل عمّار العماري، **النظم الشفوي في الشعر الجاهلي**، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، ط1، الرياض، 1407ه-1987م.

27. محمد أحمد الغمراوي: **النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي**، المطبعة السلفية ومكتبتها، د.ط، 1347ه-1929م، القاهرة.

28. محمد خضر حسين: **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، د.ت.

29. محمد صايل حمدان: **قضايا النقد القديم والحديث**، دار الأمل للنشر والتوزيع، د.ط، الأردن، 2010.

30. محمد صبري الأشتر، **العصر الجاهلي الأدب والنصوص والمعلقات**، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، د.ط، حلب، 1414ه-1994م.

31. محمد فريد وجدي:**نقد كتاب الشعر الجاهلي**، مؤسسة الهنداوي لتعليم والثقافة، 2012

32. محمد لطفي جمعة، **نقد كتب في الشعر الجاهلي، الشهاب الراصد**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، ، القاهرة، 1917ه-2017

33. محمد مندور: **النقد المنهجي عند العرب**، دار النهضة مصر للطباعة والنشرالقاهرة، 1996.

34. محمد مهدى البصير، **بعث الشعر الجاهلي**، بتصرف، مطبعة التفيض، الأهلية-بغداد، 1939.

35. محمد هاشم عطية، **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي**، دار العلوم العليا، ط3، 1355ه-1963م.

36. مهدي فضل الله: **فلسفة ديكارت ومنهجه-دراسة تحليلية ونقدية**، ، دار الطليعة للطباعة ولنشر، ط1، بيروت لبنان.

37. ناصر الدين الأسد، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، دار الجيل، ط1، بيروت-لبنان

38. هلال الجهاد، **فلسفة الشعر الجاهلي، "دراسة تحليلية في حركية الوعي الشعري العربي"**، ب، دار الثقافة والنشر، ط1، سوريا، دمشق، 2001م.

ثالثا: المجلات والدوريات

39. أحمد عبد الباسط، **مجلة التراث عبيد ابن الأبرص بين تحقيقين**، العدد لثامن، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، أوت2013.

40. حميد قبايلي، مجلة إشكالات-**قضية الانتحال في القد العربي القديم بين التأصيل والتجديد**، العدد 15، كلية الأدب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عباس، لغرور، خنشلة، 2018/11/17.

41. حي ولي فتاح حيدر، مجلة اللآداب، **نظرية الشك بين استشراقية مرجليوث واستغرابية طه حسين**، العدد106، جامعة بغداد، 2013.

42. طارف بوحالة، **مجلة اشكالات دورية نصف سنوية محكمة، دراسة نقدية تحليلية في كتاب في الشعر الجاهلي**، العدد الثاني، المركز الجامعي، ميلة الجزائر، ماي 2013.

43. عمرو زاير، منهج الشك عند طه حسين ومرجعياته، العدد الحادي عشر، جامعة بليدة – الجزائر.

44. مجد خضر، **حياة طه حسين مختصرة**، مقال، موضوع، آخر تحديث، 11جانفي 2021.

45. مجلة عود الند : محمد يوسف: **نبذة عن حياة طه حسين في ضوء كتابه الأيام**.

46. محمد الخضري، **مجلة القضاء الشرعي**، دار العرب للبستاني، القاهرة، أبريل1989م

47. محمد يوسف: **نبذة عن حياة طه حسين في ضوء كتابه الأيام**، مجلة ثقافية فصلية، عود لند، الناشر عدلي لهواري، العدد 47: ماي/2010.

48. مصطفى حسن: مقال، **الشك في منهجية طه حسين حول الشعر الجاهلي**، نشر2017/07/12.

49. مناصر القحطاني، مجلة الأثر، **رواية الشعر قراءة في مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد**، العدد26، جامعة الحدود الشمالية، المملكة العربية السعودية، العدد26 سمبتر2016.

50. منداس عبد القادر: مقال، **جدلية الشك في الشعر الجاهلي والتأسيس لمصادره بين طه حسين وناصر الدين الأسد**، جامعة البليدة، 2–عفرون.

51. ناصر القحطاني، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، **الشعر الجاهلي بين النظم الشفوي والتأصيل الكتابة**، العدد 39، جامعة بابل، كلية العلوم والآداب طريف، جامعة الحدود الشمالية، السعودية، حزيران 2018.

52. نجلاء أحمد محمد المالكي: مجلة بحوث كلية الآداب، **قضية الانتحال في الشعر الجاهلي**، جامعة الملك عبد العزيز، 1440 كلية الآداب ولعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، مملكة العربية السعودية، 2019م.

53. يوسف طارق السامرائي: مجلة، **طه حسين وقضية النحل تناقض ومرويات**، العدد الثامن عشر، كلية الإمام الأعظم، 1435ه-201

54. يوسف غيوة، مجلة، **وسيلة حفظ الشعر الجاهلي في مرحلة إنشاده بين الرواية الشفوية والتدوين**، العدد03، جامعة قسنطينة.

الملاحق

ولد طه حسين في ريف من أرياف محافظة المنية وكان أبوه موظفا في شركة السكر وكان هو من الإخوة 12 هو سابعهم، وقد أصيب بالرمد فعالجه الحلاق فذهب العلاج ببصره، أكمل حفظ القرآن، ولم يبلغ العشر سنوات من عمره ثم انتقل على الأزهر طلبا للعلم، ولكنه لم يرتح لدروس باستثناء دروس الأدب ولذالك التحق بالجامعة المصرية بمجرد افتتاحها التي نال من خلالها شهادة الدكتوراه، وذلك بعد تحريره ومناقشته رسالة عن أبي العلاء المعري أحدث نشرها ضجة كبيرة وأتهم بإلحاد والكفر".[1]

"وقد وصل طه حسين إلى القاهرة ليدرس في الأزهر سنة 1902م مع أخيه المرحوم الشيخ أحمد حسين، وقضى أربعة أعوام في الأزهر ولكنه درس في جامع الأزهر وغير جامع الأزهر من المساجد وعكف على دراسته من العلوم الدينية وللغوية بالأزهر."[2]

"كما أمعن صاحبنا على دروسه في الأزهر وغير الأزهر من المساجد فأمعن في الفقه ولنحو والمنطق، وأخذ أحسن الفنقلة التي كان يتنافس فيها لبارعون من طلاب العلم في الأزهر على المنهج القديم."[3]

وبعدما ترك الأزهر ليلتحق بالجامعة المصرية التي أنشئت سنة 1908م وكانت الجامعة المصرية خير مجال لتوسيع دائرة ثقافته، وإتباع طموحه فاتصل بالأستاذ لطفي السيد، وفتحت له أبوب جديدة في لعلم والمعرفة، وجرب طه حسين نفسه كاتبا بين يدي الشيخ عبد العزيز جاويش وشاعرا بين يدي الأستاذ المرصفي، وكن ينظم الشعر في مستهل حياته الأدبية."[4]

[1]- طه حسين، **مقال، السيرة الذاتية الأيام.**

[2]- محمد يوسف، **نبذة عن حياة طه حسين في ضوء كتابه الأيام**، مجلة ثقافية فصلية، عود لند، الناشر عدلي الهواري، العدد 47، ماي/2010

[3]- طه حسين، **الأيام**، دار مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط 1، 1412-1992، القاهرة، ص251.

[4]- محمد يوسف، **مجلة عود الند، نبذة عن حياة طه حسين في ضوء كتابه الأيام.**

وفي السنة نفسها أرسلته لجامعة في بعثة إلى فرنسا سنة1915، تحديدا إلى باريس أم الدنيا التي حصل منها سنة 1919 على شهادة الدكتوراه، وفي سنة 1917، عاد إلى مصر وتزوج من الفرنسية سوزان وتولى لتدريس بالجامعة المصرية التي أصبحت جامعة حكومية سنة 1925."[1]

وبعد عودته إلى مصر ليبدأ مسيرته لمهنية"عين أستاذ للتاريخ اليوناني والروماني لقديم في لجامعة الأهلية في الفترة الواقعة بين عامي 1919-1925 وبعد تحويل الجامعة الأهلية إلى جامعة حكومية عين أستاذا لتاريخ لأدب العربي في كلية الآداب في الفترة الواقعة بين عامي 1925-1928، ثم في عام 1930 عين عميد كلية الآداب ليصبح بذالك أول مصري يشغل ذلك المنصب."[2]

كان من أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلين بدمشق ثم رئيسا لمجمع اللغة بمصر، وأقبل لنس على كتبه ومن المطبوع منها{في الأدب الجاهلي}و{في الشعر الجاهلي}و{حديث الأربعاء}، ثلاثة مجلدات و{قادة لفكر}و{على هامش لسيرة}ثلاثة أجزاء.و{ومع أبي العلاء المعري في سجنه}و{مع المتنبي}جزاءان و{أحاديث}و{الأيام} وكان قد شغف بالأدب اليوناني في صباه وترجم بعض آثاره ككتاب"نظام الاثنين لأرسطو-ط"و"آلهة اليونان- ط"و"صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان – ط"وله"فلسفة ابن خلدون- ط"وهو رسالة الدكتوراه وبالفرنسية إلى السوربون وترجمها إلى لعربية محمد عبد لله عنان... وقد ترجم كثير من كتبه إلى عدة لغات وعينته جامعة الدول العربية رئيسا للجنتها الثقافية فأدارها مدة، وحاول البدء في عمل دائرة معارف"عربية ولم ينجح، آخر أعماله لحكومية سنة 52، وتوقي بالقاهرة."[3]

[1]- طه حسين، **مقال السيرة الذاتية الأيام**.

[2]- مجد خضر، **مقال حياة طه حسين مختصرة**، موضوع، آخر تحديث، 11جانفي 2021.

[3]- خير الدين الزركلي، **الإعلام قاموس تراجم**، دار العلم للملايين، ط7، بيروت-القاهرة، 1976.

إهداء

شكر وعرفان

فهرس المحتويات

مقدمة ..... أ

تمهيد: لمحة عن الشك في الشعر الجاهلي 5

الفصل الأول: نشأة الشعر الجاهلي وقضية الانتحال

المبحث الأول: نشأة الشعر الجاهلي. 9

المبحث الثاني: الرواية الشفوية والكتابة والتدوين. 19

المطلب الأول: الرواية الشفوية. 19

المطلب الثاني: الكتابة والتدوين 24

المبحث الثالث: قضية النحل والانتحال 30

المطلب الأول: مفهوم الانتحال. 31

المطلب الثاني: مواقف النقاد من الانتحال. 31

المبحث الرابع: منهج الشك الديكارتي وأسسه. 37

المطلب الأول: مفهوم الشك. 38

المطلب الثاني: مواقف النقاد من منهج ديكارت وأسسه. 39

الفصل الثاني: البعد الرؤيوي في كتاب الشعر الجاهلي عند طه حسين

المبحث الأول: أهم المفاهيم التي وقف عندها طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي:.....43

المبحث الثاني: آراء نقدية 122

خاتمة: 127

قائمة المصادر والمراجع:.....130

الملاحق: 137